بسم الله الرحمن الرحيم

السنة ٧
صدى أم البنين

قِسْمُ الشُّؤُونِ الفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ
شُعْبَةُ الفِكْرِ وَالإِبْدَاعِ

العنوان: صدى أم البنين(عليها السلام).
النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة - قسم الشُّؤون الفكرية والثَّقافية.
الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات.
التَّصميم: حسين عقيل - حسين شمران.
الطَّبعة: الأولى.
عدد النُّسخ: ١٠٠٠
شهر جمادى الآخرة: ١٤٣٦هـ.
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة.

المحتويات

١١ كيف نقرأ عظمة أمّ البنين عليها السلام

١٧ مدرسة التربية والوفاء

٢٣ صناعة القادة

٢٩ أمّ البنين عليها السلام ومودة ذوي القربى

٣٥ تساؤلات حول السيدة أمّ البنين عليها السلام

٤٣ وسائل الفيض الإلهي

٤٩ باب الحوائج إلى الله تعالى

٦١ السَّيدة أمّ البنين عليها السلام مثال الزوجة الصالحة
٧٣ تأمّلات في حياة أمّ البنين عليها السلام
٨١ يا أمّ البنين عليها السلام
٨٥ زيارة السيدة أمّ البنين عليها السلام

أم البنين عليها سلام الله
السَّلامُ عَلَيكِ يا أمَّ العَبّاس
أم البنين

الافتتاحية

إنَّ أبرز ما يميز شخصية أتباع مدرسة الوحي والإمامة هو رفضهم التام للاستبداد أو الاستكانة له أو الانخداع بإعلامه المضلل، فالإنسان هنا يشعر بأنه حر وأن لا سلطان يملكه أو يستطيع استعباد قلبه، ولعل هذه الصفات لم تتولد فجأة ودون مقدمات، بل هي نتيجة طبيعية للثقافة والفكر والعقيدة التي ملأت كل جوانح قلبه وضميره وأحاسيسه.

وتعتبر القدوة التي يؤمن بها أتباع مدرسة الوحي والإمامة عاملاً مهماً في تكوين الميول الثقافية والصفات الشخصية، ومن الطبيعي أن عظمة القائد تؤثر بشكل كبير في أتباعه ومن يقتدي به، وليس في تاريخ البشر أي شخص يمكن أن يصل لعظمة ومكانه رسولنا الأكرم محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وآله-.

ولا يوجد من بعده أحد كعترته الطاهرين الأئمة الإثني عشر -عليهم السلام- الذين فرض الله-تعالى- مودتهم وطاعتهم على العباد، وبالطبع كانت أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية -عليها السلام- إحدى تلك النساء العظيمات التي تربت في بيت طهر وتزوجت خليفة النبي -صلى الله عليه وآله-، وأسهمت بشكل كبير في مسيرة النهضة العلمية في المدينة المنورة إلى جنب زينب بنت أمير المؤمنين -عليهما السلام-، كما كانت نعم المربية لجيل ناصر علي -عليه السلام- في حروبه وسبطيه-عليهما السلام- من بعده.

وعند قراءة سيرة أم البنين فاطمة بنت حزام -عليها السلام- ومعرفة الدور المنوط بها كإحدى الشخصيات المهمة في نهضة كربلاء، يتضح أن المسؤولية الملقاة على عاتقها كانت كبيرة جداً، وتتمثل في صناعة الأجيال والقادة الذين يحملون لواء النهضة والنصر، ويقودون معركة تصحيح القيم والمفاهيم لدى أبناء الأمة، وتتطلب هذه المسؤولية قدراً كبيراً من المؤهلات والعوامل التي لابد من تواجدها في المربي حتى يستطيع أن ينهض بهذه المهمة، ولعل أولها أن يتصف ـ من يروم تحقيق العظمة في الأجيال ـ هو بذلك، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، وهنا تتضح كم كانت عظيمة أم البنين -عليها السلام- حتى استطاعت أن تربي قادة أصبحوا يمثلون أسطورة تاريخية قل أن يوجد لها مثيل، ويعرف ذلك من قرأ سيرة كربلاء ومواقف أبناء أم البنين -عليها السلام- في المعركة، وكيف أن الجيش الأموي كان يحسب لهم ألف حساب.

يا أم البنين

كيف نقرأ عظمة أمّ البنين عليها السلام

السيد محمود الموسوي باحث إسلامي

١١
أم البنين
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

إنّ معرفة عظمة الشّخصيات المرتبطة بالإسلام المحمّدي الأصيل من ضروريات الحياة؛ لأنّهم المدد الذي نستلهم منه المواقف والعبر التاريخية التي تبني لنا الحاضر، وتكتمل فصول التّجربة التّاريخية التي انقلب فيها خط الخنوع على خطّ الرّسالة، حيث أصبح هنالك فريقان، فريق يغذّيه حُكّام الجور على مدى الأزمان، وفريق يصرف فيه الثّائرون دماءهم وجهودهم لإقامة الدّين في حياة الإنسان.

وبسبب التّداخلات السّياسيّة والتّعقيد في مؤثّرات حركة التّاريخ المتعدّدة الجوانب، لا يمكن أن نقتصر في فهم عظمة الشّخصيّات، على الفهم المباشر، الذي ينتظر نصوصاً بيّنة صريحة من الوثائق التّاريخية التي كتبها المؤرخون، فنحن أمام ملحوظتين ينبغي الأخذ بهما بجدّيّة الباحث، وهما:

١/ وجود خط الخنوع المُغذى من حكّام الجور، حيث قاموا برعاية المؤرّخين وتحريف التاريخ، ومنع تدوين نقاط الضّوء فيه، وحشو صفحاته بدقائق يوميات البطر والمجون.

٢/ ملاحظة الشّخصيّة كعنصر في مجتمع حي كبير متداخل في تكويناته ومصالحه وأوجهه وتموّجاته، ولا يمكن عزل الفرد عن حراك الأمّة الكبير وتركيب المجتمع المترامي الأطراف.

وبين هذا وذاك، فإنّ الباحث ينبغي له أن يتصيّد الإشارات ويجمع حزم النّور، عبر ملاحظة ما ذكرناه، فالتاريخ يخبرنا بعظمة سيّدات مثل زينب -عليها السلام- وفاطمة المعصومة -عليها السلام-، وسادة كالعباس -عليه السلام- وعلي الأكبر -عليه السلام- وسلمان -عليه السلام-، بنصوص مباشرة هي شهادات عظمة محفورة في صفحات التاريخ. إلّا أنّك تقف عند بعض الشّخصيّات ممن لم يسجل التاريخ شهادات مباشرة في حقهم، كأمّ البنين زوجة أمير المؤمنين -عليهما السلام- أم العباس -عليه السلام-، فمثل هذا النّموذج ينبغي أن نلحظ الحركة العامّة لشخصيّتها، إضافة إلى الإشارات النّورانيّة الخاصة، فنجمع بين هذا وذاك جمعاً متّسقاً مع مفاهيم الدّين وروح

الشّريعة، كي نصل إلى حزمة النّور وملامح العظمة.

ومن أهم ما ينبغي حفره واستخراج كنزه، هي المدّة الزّمنيّة بين انتخاب أمير المؤمنين -عليه السلام- أم البنين زوجة لتلد له فارساً، إلى فترة لقاء بنت أمير المؤمنين زينب -عليها السلام- لها، بعد شهادة الإمام الحسين -عليه السلام-. فالفترة التّاريخية الأكثر إيلاماً على أهل البيت -عليهم السلام-، قد عاصرتها أم البنين (وبملاحظة البداية والنهاية) يترشح أمامنا أنّها وقفت في صفّ أهل البيت -عليهم السلام- في كل التّحدّيات التي مرّت عليهم وكانت ثابتة كالجبل الأشمّ مع أهل البيت -عليهم السلام-، فلم تكن تلك الفترة إلا مجموعة من آلام الإمام علي -عليه السلام- حتى شهادته، ومجموعة من غصص الإمام الحسن -عليه السلام- حتى شهادته، ومجموعة من ظلامات الإمام الحسين -عليه السلام- حتى شهادته، ومع ذلك أثبت لنا التّاريخ، ثباتاً منقطع النّظير لهذه السّيّدة الجليلة .

وفي قراءة مفهوميّة الشّخصيّات، نجد أنّ البشرية تُعظّم الكريم لـ (كرمه)، والمتصدّق (لصدقته)، والصّادق (لصدقه)، والعادل (لعدله)، فحركة المفاهيم هي التي ترفع الشّخصيّات وتجلي لنا مواطن العظمة، فإذا استعرنا من المخزون الدّيني مفاهيم مثل (حبّ أهل البيت-عليهم السلام-)، و(نصرة أهل البيت-عليهم السلام-)، و(خدمة أهل البيت-عليهم السلام-)، و(مواساة أهل البيت-عليهم السلام-)، فلا نجد إلا انحناء التاريخ أمام الذي استثمر حياته فيها، وأم البنين بين (انتخابها زوجة) و(إيداع جسدها الثرى)، سجّلت بشراً عُجنت طينته ومُزج دمه بهذه المفاهيم، وبذلك التصقت بمعدن العظمة ورفلت في ميادينها.

فقد عرف العالم كله أنّها انتُخِبت من بين سيّدات العالم (لتلد الفارس) النّاصر لأهل البيت -عليهم السلام-، فهي أولى بتلك المعرفة، ومع ذلك قدّمت أربعة من الفرسان، قامت على رعايتهم وتنشئتهم بكامل وعيها، ليكونوا فداء سيدهم الإمام الحسين -عليه

السلام-، وقد عاشت لترى ثمرة جهدها وتتأكّد من إتمام المهمّة بنداء ولدها العباس -عليه السلام- لإخوته في يوم العاشر: (يا بَنِي أمّي تَقدّموا للقتال، بنفسي أنتم، فحاموا عن سيّدكم حتى تستشهدوا دونه...)، فهذا مثال لاستحضار مفهوم (نصرة أهل البيت-عليهم السلام-) في قراءة تاريخ أم البنين -عليها السلام-، لنَعِي درجة العظمة التي وصلت إليها، خصوصاً في زمن ندرة النّاصر وشح الموالي.

كما أنّ الفطرة تعي تماماً ما يحمله عطف الأم من حب لأولادها، على الأخص إذا كانوا أولاداً بارّين قد مسح الفضل على قلوبهم كأولاد أمّ البنين -عليهم السلام-، فيقدّم لنا التاريخ موقف استقبال أم البنين -عليها السلام- لنبأ شهادتهم مُقطّعين بالسّيوف، وكيف أنّ اهتمامها الأكبر كان يلاحق نبأ ما أصاب الإمام الحسين -عليه السلام-، فتحزن وتجزع عليه، وهذا الموقف يستحضر لنا مفهوم (حب أهل البيت) وتقديمهم على النّفس والولد، حتى لو كان الثّمن ذهاب حياة كل أولاد أمّ عطوف.

إنّ استحضار القراءة ذات المفهوم العميق للتاريخ وتقدير الشّخصيّات لما ثبت لهم من حظّ في تلك المفاهيم، ولو كانت أسطر التاريخ قليلة، من شأنه أن ينبئنا عن عظمة خالدة، كعظمة السّيّدة أم البنين -عليها السلام-، ولن يكون بعدها مستغرباً أن يلتف حول مائدتها النّاس، متوسّلين بعظمة جسّدت في حق أهل البيت -عليهم السلام- والثّبات على النّهج، والنّصرة والحب والمواساة والخدمة، بأروع تجسيد، ليقدّموها بين يدي حاجاتهم، كوجيهة عند الله بأهل البيت -عليهم السلام-.

يا أم البنين

١٦
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

مدرسة التربية والوفاء

أحمد عبود/صحفي

١٧
البين أصدق
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

لقد تميّز هذا الأنموذج في عطائه وتضحيته وحبّه لأبنائه وأبناء غيره، بل وقد اهتمّت أم البنين بأبناء غيرها أكثر مما اهتمّت بأبنائها، حتى تحوّل هذا الأنموذج إلى رسالة تدرّس في المدارس وتلقى في المحافل العامة والخاصة وليس للمرأة فقط دون الرّجال وإنّما للبشرية جمعاء، فقد حملت هذه المرأة الأمانة بوفاء وصبر وتضحية، يقول علي رباني الخلخالي في كتابه (أم البنين النّجم السّاطع في مدينة النّبي الأمين-صلى الله عليه وآله-) : " **كانت السّيّدة أم البنين تكن في نفسها من المودّة والحب للحسن والحسين -عليهما السلام- ما لا تكنّه لأولادها الذين كانوا ملء العين في كمالهم وآدابهم**"، ويقول " **لقد قدّمت أمّ البنين أبناء رسول الله على أبنائها في الخدمة والرّعاية، ولم يعرف التاريخ أنّ شريكة تخلص لأبناء شريكتها وتقدّمهم على أبنائها سوى هذه السّيّدة الزّكيّة، فقد كانت ترى ذلك واجباً لأنّ الله -تعالى- أمر بمودّتهما في كتابه الكريم فقال -سبحانه-: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وهما وديعتا رسول الله -صلى الله عليه وآله- وريحانتاه، وقد عرفت أم البنين ذلك فوفت بحقهما وقامت بخدمتهما خير قيام**".

ويبين في كتابه الآنف الذكر مدى رعايتها واهتمامها بسبطي الرّحمة وإمامي الهدى الحسن والحسين -عليهما السلام- بقوله " **قامت السّيّدة أم البنين برعاية سبطي رسول الله -صلى الله عليه وآله- وريحانتيه وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين -عليهما السلام-، وقد وجدا عندها من العطف والحنان ما عوّضهما من الخسارة الأليمة التي مُنيا بها بفقد أمّهما سيدة نساء العالمين، فقد توفّيت وعمرها كعمر الزّهور، فترك فقدها اللّوعة والحزن في نفسيهما** ".

أم البنين أنموذج المرأة الصالحة .

تجلّت حقيقة الإيمان والتّقوى، وروح العفّة والطّهارة في شخصيّة أم البنين -عليها السلام-، فمنذ السّاعات الأولى التي شاء الله -تعالى- أن يجعل من فاطمة أم البنين زوجة لعلي -عليه السلام- تحوّلت مثالاً للمرأة المؤمنة ورمزاً للحب والوفاء، فعندما

تزوّج منها أمير المؤمنين علي -عليه السلام- وجاء بها أهلها لدار أمير المؤمنين -عليه السلام- لم تدخل إلى بيت الطّهارة قبل أن تلمس رضا الحسنين عنها فانحنت إجلالاً تستأذنهم أن تكون خادمة في بيتهم وهي تحمل في قلبها عنفوان المودّة وبلسم الرّحمة يفوح عبقه للحسنين -عليهما السلام-، فدخلت الدّار وهي تتشرّف بخدمتهم للرّعاية والتّربية والقيام بواجبهم .

وأمّا في أخلاقها وآدابها ومشاعرها النّبيلة اتجاه أبناء الزّهراء -عليها السلام-، فينقل المرجع الشّيرازي-قدس سره- في كتابه " **وكانت أم البنين -سلام الله عليها- في غاية الأدب والأخلاق، فقد قالت لعلي أمير المؤمنين -عليه السلام-، لا تُسمّني فاطمة !؛ لأنّ الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم -عليهم السلام- يتذكرون أمّهم ويتأثرون بذلك، ولذا سمّاها -عليه السلام- بـ (أمّ البنين) -على ما هي العادة عند العرب من الكنية- لا باعتبار الانطباق الخارجي، بل باعتبار الانتخاب، والله سبحانه رزقها أربعة أولاد (مثل بدور الدّجى) فصاروا مفخرة البشرية إلى يوم القيامة**".

أم البنين ودورها في واقعة كربلاء.

هذه المرأة المؤمنة الصّابرة المحتسبة كانت تدرك حقيقة الدّور الرّيادي الذي ينتظرها والذي ينبغي أن تقوم به في رعايتها لأبناء الزّهراء-عليها السلام- وتربيتهم والذّود عنهم، وكانت تُدرك أنّ هناك دوراً ينتظر ابنها أبا الفضل العباس -عليه السلام- لذا اهتمّت به وصقلت شخصيته وجعلت منه جنديّاً بطلاً يحسب له الأعداء ألف حساب وأعدّته ليوم عاشوراء، لذا نجد أمّ البنين كيف قدّمت أبناءها الواحد تلو الآخر في واقعة الطّف الأليمة .

بعد واقعة كربلاء الأليمة وبعد أن قُتِل الإمام الحسين -عليه السلام- وأهل بيته- عليهم السلام- والخُلّص من أصحابه، جاء النّاعي ينعى قتلى كربلاء فلمّا سمعت أمّ البنين -عليها السلام- ذلك شقّت الصّفوف واقتربت منه وسألته عن الإمام الحسين

-عليه السلام- هل هو حي أم قُتل ؟، فسأل مَن بجانبه عنها فقالوا له إنّها أم البنين، فعدد أبناءها عليها الواحد تلو الآخر وهي تقول له سألتك عن ابني الحسين لا عن أولادي، فلمّا قال لها أعظم الله لك الأجر في ولدك العباس مال كتفها وقد كانت تحمل طفلاً لأبي الفضل العباس -عليه السلام-، ولما أجابها بمقتل الإمام الحسين -عليه السلام- سقط الطّفل من على كتفها ووقعت على الأرض بعد أن انهدت قواها باكية، وهذا يكشف عن حقيقة موقفها وعظيم مصابها برزية الإمام وعن مدى إيمانها ورسوخ اعتقادها وولائها الوثيق وحبّها الذي لا يوصف للحسين -عليه السلام-، ولطالما كانت تقول: ليت أولادي جميعاً قُتلوا وعاد أبو عبد الله الحسين -عليه السلام- سالماً، هكذا تعاملت السيدة أم البنين -عليها السلام- بأمانة وإخلاص مع هذه النّماذج الطّاهرة أبناء الزّهراء وعلي، وسبطي رسول الله -صلى الله عليه وآله- من الولادة إلى الشّهادة من آل بيت النبي عليهم جميعاً آلاف التّحيّة والسّلام، وما يعنينا من هذا كله أن نقف موقف الإنسان المؤمن لا سيما المرأة المؤمنة الواعية في مجتمعاتنا أن تقف اليوم موقف هذه المرأة الصّالحة وينبغي أن تتعلّم منها، فحياتها حافلة بالدّروس والعِبر (١).

الهوامش:

(١) لمزيد من المعلومات ينظر المصادر التالية:

أ- أعلام النساء المؤمنات/ تأليف محمّد الحسّون/ طبعة قم/ ص ٤٩٦ .

ب- الفصول المهمة في أصول الأئمة/ محمد بن الحسن الحر العاملي/ المحقق: محمد بن محمد الحسين القائيني/ الناشر: لمؤسسة معارف اسلامي امام رضا -عليه السلام-/ الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ. ق/ نگين قم، ص١٩٨.

ج- إبصار العين في أنصار الحسين -عليه السلام-/ الشيخ محمد السماوي/ ١٤١٩هـ/ ص ٥٦.

د- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (٨٢٨ هـ)/ الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م/ عنى بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني/ منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف/ ص ٣٥٦. .

هـ- العباس -عليه السلام-/ السيد عبدالرزاق المقرّم/ منشورات الشريف الرضي/ ص١٢٨.

و- من قضايا النّهضة الحسينية، (أسئلة وحوارات)/ فوزي آل سيف/ دار محبي الحسين/ قم/ ط١/ ١٤٢٣هـ/ ج١/ ص١٢٠.

ز- العبّاس-عليه السلام- /عبد الرزّاق الموسوي المُقرّم/ تحقيق الشيخ محمّد الحسّون، إصدارات مكتبة الروضة العبّاسيّة/ ص ١٢٥.

صِناعةُ القادةِ

سيف الباوي/مدرب تنمية بشرية

٢٣
البينات
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

إنّ شخصيّة أم البنين -سلام الله عليها- ولما تملك من أرضية وراثية للمكارم قد تشرّبت بكل قيم العزّة والنّخوة والشّهامة والشّجاعة، وفي مدرسة أمير المؤمنين -عليه السلام- كانت تملك كل الاستعدادات النّفسيّة والعقلية كي تستوعب علم خليفة رسول الله -صلى الله عليه وآله- وما يلقيه عليها من تعاليم وقيم ومبادئ، وبهذا كانت إحدى عالمات أهل البيت -عليهم السلام- والتي كان لها دور كبير في تربية أجيال مجاهدة تحت لواء علي -عليه السلام-، وكان من أبرز أولئك هم أشبالها الأربعة والذين كانوا عصارة التّربية النّبيلة حتى أصبحوا فدائيين في حركة النّهضة الحسينيّة، وكان أبرز هؤلاء هو أبو الفضل العباس بن علي -عليهما السلام-، والذي يُعد بحق أسطورة في الفداء والتّضحية والجهاد في سبيل نصرة الإسلام، وجندياً مخلصاً لأخيه وسيده الحسين سيد شباب أهل الجنة -عليه السلام-.

نشأت السّيّدة أم البنين -عليها السلام-، في كنف أسرة شريفة، تبتهل المآثر والخصال في رياضها، فالجود والشّجاعة، والكرم والفصاحة، والإباء والحميّة، والطّهارة والعفّة.. قيم تنثر شذاها في ذلك البيت المؤمن.

ففي هذا المحل المبارك نشأت أم البنين، تنهل من تعاليم تلك العائلة، لتترجمها تنفيذاً وفكراً وسلوكاً، وكأنّها على موعد مع الفجر.. مع التّغيير.. مع النّهضة!

الإعداد والتّخطيط

هناك.. في بيت أمير المؤمنين -عليه السلام-، كانت أم البنين تستمطر العلم والهدي، وترتشف من معين الحكمة والجلال.. وتستسقي من مُزن المعرفة الملكوتية.. فأصبحت عظيمة بعظمة ذاك المربّي، ذات عقل سديد، وفكر راجح، راسخة الإيمان، نافذة البصيرة، مخلصة وعالمة.

وهناك أيضاً.. كانت تخطط لأن تصنع قادة؛ تلف جلالهم أطواق الإيمان، ويتجلّى سلطان شجاعتهم وتضحيتهم في غمرات الحروب، وترى شعاع بصيرتهم نافذاً في

الآفاق.

لا شك أنّ صناعة الفرد القائد القادر على التّغيير، وإحداث حركة تصحيحيّة في المجتمع لإحقاق الحق ونشر قيمه، وتمزيق رايات الفساد والانحراف، مسؤولية عظيمة، قد لا يقدر عليها من لا يمتلك مقوّماتها، إلا أنّ شخصيّة أم البنين-عليها السلام-، قد ارتوت من حياض الفكر الرّسالي، فأصبحت المثال والأنموذج والقدوة الحسنة لكلّ من يخطط لأن يصنع قائداً.

وقد كان العباس بن علي-عليهما السلام-، ثمرة هذا التّخطيط السّليم، فهو القائد الملهم، والمصلح الفذ الذي أسهم في تغيير مسار التاريخ الإنساني، بما قدّمه من تضحيات في سبيل إعلاء الحق وتحرير الإنسان من العبودية، وبناء مجتمع فاضل تسوده الحرّيّة والكرامة والمحبّة والعدالة.

يقول الإمام الصادق -عليه السلام-: **"كان عمّي العباس بن علي -عليهما السلام-، نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين -عليه السلام- وأبلى بلاءً حسنا"**(١).

أم البنين؛ الموقف والضّمير

يقال: زوجة الأب ظالمة..! إلا أنّ أم البنين -عليها السلام-، بسطت قلبها الطّاهر للإمامين، الحسن والحسين -عليهما السلام-، وتغزل من رؤى الإحسان إكليلاً لجلالهما.. إنّها امرأة استثنائية.. فأم البنين -عليها السلام-، امرأة مؤمنة، عارفة، وذات إيمان راسخ بولاية أمير المؤمنين -عليه السلام-، وريحانتي رسول الله الحسن والحسين -سلام الله عليهم-، لذلك فقد كانت تنحني أمام شموخ مقامهم.. فكانت تقوم برعايتهم وخدمتهم بأفضل ما يكون انطلاقاً من محبتها لرسول الله -صلى الله عليه وآله-، ورجاء شفاعة أمّهما السّيّدة فاطمة الزّهراء -سلام الله عليها-.

لم يعرف التاريخ امرأة كأم البنين -عليها السلام-، فكرم أخلاقها، وطيب منبتها،

وإيمانها بمبادئ الرّسالة جعلها تخلص لأبناء الزّهراء الحسنين -عليهم السّلام-، باعتبار أنّ ذلك تكليف شرعي لأنّهما حجج الله-تبارك وتعالى-، بل قدّمت فلذات أكبادها الأربعة من أجل نصرة ريحانة رسول الله-صلى الله عليه وآله-.

لذلك لم ينسَ الحسنان -عليهما السّلام-، ولا أختهما العقيلة زينب -سلام الله عليها-، هذا المعروف، فينقل أنّ السّيّدة زينب كانت تتعهّد أمّ البنين بالزّيارة في المناسبات الدّينيّة، وقد قدّمت لها العزاء باستشهاد أقمارها الأربعة فور وصولها إلى المدينة المنوّرة.

كما أنّ لأم البنين -عليها السلام- وقفة إعلامية لتحرير المجتمع من لعنة الظّلم والاستبداد، فقد مارست دورها الإعلامي برثاء سيّد الشّهداء -عليه السّلام-، وأبنائها الأربعة في البقيع الغرقد، فهي بذلك كانت تسلّط الضّوء على وحشية النّظام الأموي، وما قام به من جرائم بحق الإنسانيّة، حيث ساهم هذا الحراك الإعلامي في إحداث حركة نهضوية ترفض الذّل والخنوع للحاكم الجائر.

ولأن ألحان الحق تُربِك الظّالمين؛ أرادوا خنقها، لذلك دسوا لها السّم، فاستشهدت في الثالث عشر من شهر جمادى الثانية من العام الرابع والستين للهجرة. ورغم أنّ التاريخ قد ظلم سيرة هذه المرأة المعطاءة، إلا أنّ هذه الشّذرات اليسيرة من حياتها تنساب بين جنباتها البطولة والكرامة والمودة لآل محمد -صلى الله عليه وآله-.

الهوامش:

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- في الكتاب و السنة و التاريخ/ محمد الريشهري/ تحقيق: مركز بحوث دار الحديث/ الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر/ الطبعة: الثاني، ١٤٢٥هـ/ المطبعة: دار الحديث/ مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية/ إيران: قم المقدسة/ ج١/ ص٩٩.

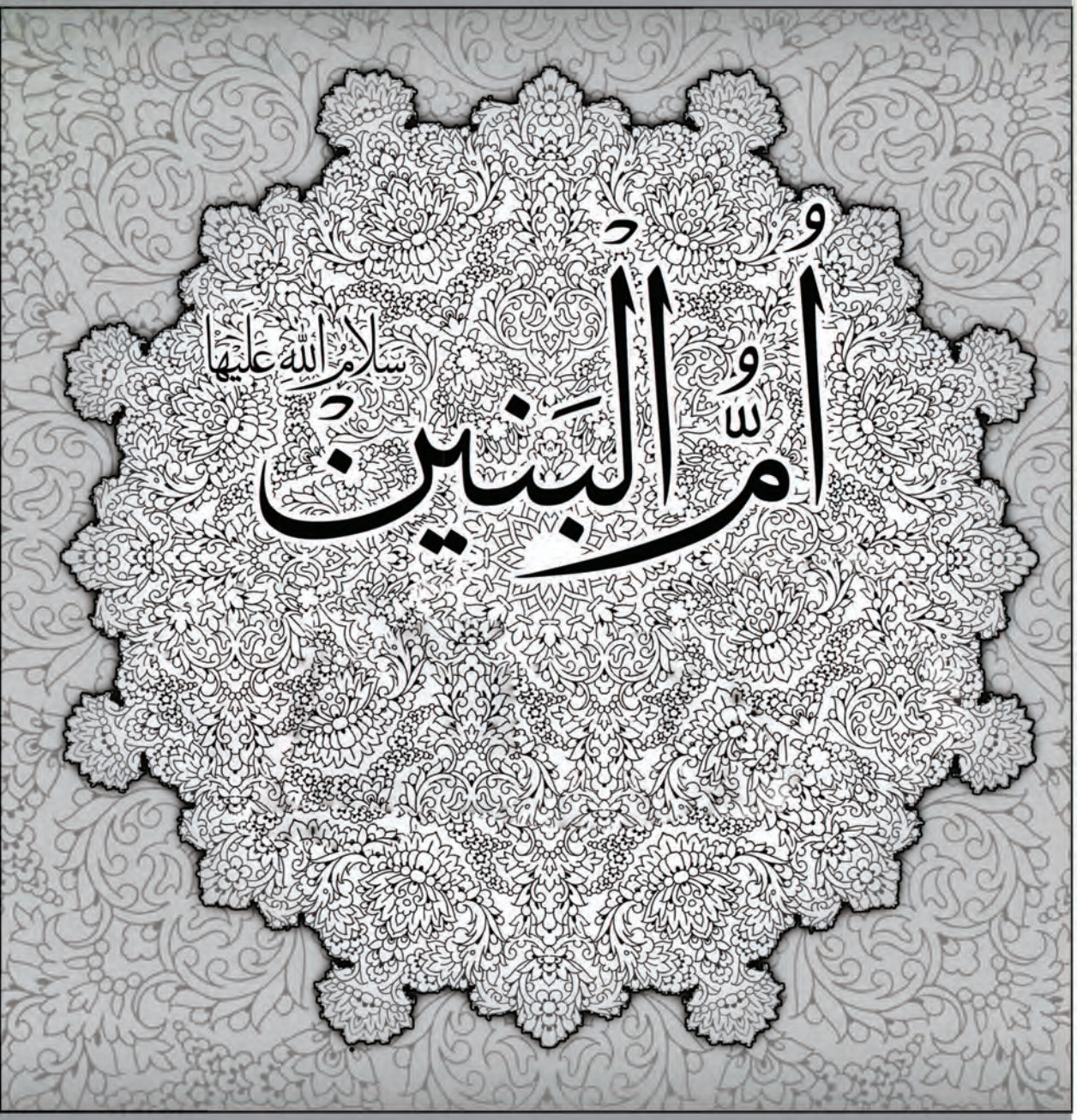

٢٧
البينات
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

يا أم البنين

أم البنين عليها السلام
أُمُّ البَنِينَ عليها السلام ومودةُ ذوي القُربى
محمد رضا الأسدي/صحفي
٢٩
البنين أمي
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

عن أبي جعفر-عليه السلام- أنّه سُئل عن قوله -تعالى-: (قُل لاَّ أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُربَى)(١)؟ فقال: (هي والله فريضة من الله على العباد لمحمد-صلّى الله عليه وآله- في أهل بيته)(٢).

قال أبو الحسن -عليه السلام-: " حدّثني أبي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن علي -عليهما السلام- قال: اجتمع المهاجرين والأنصار إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله- فقالوا: يا رسول الله إنّ لك مؤونة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دمائنا فأحكم فيها بارا مأجورا اعط منها ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج فأنزل الله الرّوح الأمين فقال يا محمد (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يعني تؤدوا قرابتي من بعدي فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول الله -صلى الله عليه وآله- على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعده إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيما فأنزل الله عز وجل: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) فبعث إليهم النبي -صلى الله عليه وآله- فقال: هل من حدث؟

فقالوا: أي والله قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه فتلا عليهم رسول الله -صلى الله عليه وآله- فبكوا واشتدّ بكاؤهم فأنزل الله -عز وجل-: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)(٣).

ومما تقدم نستدل على أنّ المودة المقصودة في الآية الكريمة: (قُل لاَّ أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُربَى) هي لأهل بيت رسول الله -صلوات الله عليهم أجمعين-، وأنّ الواجب على الأمّة أن تتودّد إليهم وتكون مطيعة لهم، وخير مثال لمن جسّد المودّة للعترة الطّاهرة ورسم لنا لوحة من الولاء والطّاعة والتّضحية هي شخصية السّيّدة الجليلة صاحبة المكانة الرفيعة عند أهل البيت-عليهم السلام- أم البنين فاطمة بنت حزام- عليها السلام-.

مكانة أم البنين ومنزلتها عند أهل البيت -عليهم السّلام-

إنّ لهذه السّيّدة الزّكية مكانة متميّزة عند أهل البيت -عليهم السّلام-، فقد أكبروا إخلاصها وولاءها للإمام الحُسين -عليهم السّلام-، وأكبروا تضحيات أبنائها المكرمين في سبيل سيّد الشّهداء -عليه السّلام-.

فقد أضافت أُمّ البنين -عليها الصّلاة والسّلام- إلى أصالتّها ملَكاتٍ شريفةً خصوصاً بعد اقترانها بأمير المؤمنين -عليه الصّلاة والسّلام-، فكانت من النّساءِ الفاضلاتِ، العارفات بحقّ أهل البيت -عليهم السّلام-، يقول السّيّد المقرّم -رحمه الله-: **"كانت أُمّ البنين من النّساء الفاضلات، مخلصةً في ولائها لأهل البيت -عليهم السّلام- ممحضةً في مودّتهم، ولها عندهُم الجاهُ الوجيه، والمحلُّ الرّفيع، وقد زارتْها زينبُ الكبرى عليها الصّلاة والسّلام بعد وصولها المدينة تُعزّيها بأولادها الأربعة"**(٤).

وكانت أُمّ البنين تحبُّ الزّهراء -سلام الله عليها- أشدَّ الحبّ وكانتْ على غاية الوفاءِ والإخلاص مع سيّدة نساءِ العالمين فاطمة -عليها الصّلاة والسّلام-.

رعايتها للحسن والحُسين -عليهما السّلام-

قامت السّيّدة أُمّ البنين برعاية سبطي رسول الله -صلّى الله عليه وآله- وريحانتيه وسيّدي شباب أهل الجنّة الحسن والحُسين -عليهما السّلام-، وقد وجدا عندها من العطف والحنان ما عوّضهما من الخسارة الأليمة التي مُنيا بها بفقد أمّهما سيّدة نساء العالمين الشّهيدة المظلومة، فقد ترك فقدها اللّوعة والحزن في نفسيهما.

لقد كانت السّيدة أُمّ البنين تكنّ في نفسها من المودّة والحبّ للحسن والحُسين -عليهما السّلام- ما لا تكنّه لأولادها الذين كانوا ملء العين في كمالهم وآدابهم.

ولقد قدّمت أُمّ البنين أبناء رسول الله -صلّى الله عليه وآله-، على أبنائها في الخدمة والرّعاية، ولم يعرف التّاريخ أن ضرّة تخلص لأبناء ضرّتها وتقدّمهم على أبنائها سوى هذه السّيّدة الزّكيّة، فقد كانت ترى ذلك واجباً دينياً لأنّ الله-تعالى- أمر بمودّتها في

كتابه الكريم، وهما وديعة رسول الله -صلّى الله عليه وآله-، وريحانتاه، وقد عرفت أُمّ البنين ذلك فوفت بحقّهما وقامت بخدمتهما خير قيام.

الموقف الذّي لا ينسى: كانت أُمّ البنين من أول النّاس الذين خرجوا لاستقبال بشر بن حذلم، وهو ينادي برفيع صوته:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها * قتل الحُسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرج * والرّأس منه على القناة يدار

ولما وقع بصرها على النّاعي لم تسأله عن العباس، ولا عن أي واحد من أبنائها الذين قتلوا مع أخيهم الحُسين، وإنّما سالتّه عن الحُسين؛ خبرني عن الحُسين؟ وعلت الدّهشة وجه بشر بن حذلم عندما عرف أن هذه المرأة هي فاطمة بنت حزام العامرية، وهي أُمّ البنين بالذّات كيف لا تسأله عن أولادها ؟ وظنها لوقع الصّدمة ذهلت عن أبنائها، فراح يعددهم واحداً بعد الآخر، وفي كل واحد منهم كان يعزيها ويقول لها: أعظم الله لك الأجر بولدك جعفر. فتقول: أخبرني عن ولدي الحُسين -عليه السّلام-. ولم يلتفت بشر إلى هذا الموقف وراح يخبرها ببقية أولادها، إلى أن وصل إلى العباس، فما كاد يخبرها بقوله: يا أُمّ البنين أعظم الله لك الأجر بولدك أبي الفضل العبّاس -عليه السّلام-،حتى نظر إليها وقد اعتراها اضطراب شديد في تلك اللحظة التّي سمعت فيها نبأ مصرع أبي الفضل العباس، بحيث اهتز بدنها ولكنها تحاملت واستمرت في إلحاحها على بشر؛ أخبرني عن ولدي الحُسين؟

يقول بشر: وحينما أخبرتها بمقتل الحُسين ومصرعه صرخت ونادت: واحسيناه، وا حبيب قلباه... يا ولدي يا حسين.. نور عيني يا حسين.. وقد شاركها الجميع بالبكاء والنّحيب والعويل على الحُسين، ولم تذكر أبناءها إلا بعد أن ذكرت الحُسين وبكت عليه.

موقف آخر من مواقفها المشرّفة: قيل إنّ أُمّ البنين أتت ذات يوم إلى أمير المؤمنين وقالت له: لي إليك حاجة... قال لها: قولي ما عندك.

قالت: أنا أطلب منك أن تغير اسمي، قالت عندما تناديني فاطمة، أرى الانكسار بادياً على وجوه الحسن والحُسين وزينب، فإنّهم يذكرون أمّهم فاطمة الزّهراء -عليهم السّلام- ويتأمّلون فما كان من الإمام إلّا أن غيّر اسمها وسمّاها أُمّ البنين.

لقد كانت المرأة المواسية والمخفّفة لآلام وأوجاع قلوب أيتام الزّهراء -عليها السّلام-، فقد رعتهم حقّ رعاية، فكانت تُشعرهم بأنّها خادمة لهم راعية لشؤونهم، وعلى هذه المبادئ والأخلاق ربّت أولادها الأربعة، وأنّ مواقفهم وأقوالهم وأفعالهم يوم عاشوراء توضّح هذه الحقيقة بشكل جلي.

الهوامش:

١- سورة الشورى/ آية: ٢٣ .

٢- بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٢٣ / ص٢٣٩.

٣- المصدر نفسه/ ج٢٥/ ص٢٢٨.

٤- العباس -عليه السلام-/ السيد عبد الرزاق المقرم/ تحقيق: الشيخ محمد الحسون/ إصدارات مكتبة الروضة العباسية/ ص١٢٥.

٣٤
البنين أصدق
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

تساؤلات حول السيدة أم البنين عليها السلام

باسم محمد / كاتب

٣٥
البنين أصدق
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

لدراسة الشّخصيات العظيمة التي تركت آثاراً إيجابية في التاريخ أهمية كبيرة في مسيرة الحياة البشرية حتى يتلمس النّاس في تلك السيرة مواطن الاقتداء والاستفادة، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ سيرة السّيّدة الطّاهرة أم البنين -عليها السلام- من الشّخصيّات التي لها الأولوية بالدّراسة لما في سيرتها من المواقف المُضيئة التي لا بد من معرفتها وتحليلها لأخذ العبرة والحكمة التي هي هدف المؤمن، لذلك سنحاول في هذا البحث أن نستنير من نمير هذا العبق الرّبّاني المتفاني في حب أهل البيت -صلوات الله عليهم-، ولأجل أن نستفيد بشكل أكمل سيكون الموضوع على شكل سؤال وجواب .

إحياء الذكرى

ما هي الفوائد التي نجنيها من إحياء ذكرى السّيّدة الطّاهرة أم البنين -عليها السلام-؟

الجواب: قال الإمام الصّادق -عليه السلام-: **(أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا)** (١).

إنَّ إحياء ذكرى أم البنين -عليها السلام-، وذكرى المعصومين -عليهم السلام-، وذويهم ومن إليهم، كالعلماء والصّالحين والصّالحات، من أهم ما يلزم؛ وذلك لأجل تنظيم الحياة تنظيماً صحيحاً يوجب سعادة الإنسان في دنياه وآخرته.

فمثلاً في ذكرى أم البنين -سلام الله عليها- تتذكّر النّساء هذه المرأة الطّاهرة، العفيفة الشّريفة، الحافظة لنفسها، الذّاكرة لله واليوم الآخر، المديرة لبيتها، المراعية لحقوق زوجها، المربّية لأولاد صالحين و..

فتتعلم منها وتقتدي بها، فلا تكون مهملات في الحياة الزّوجية أو في تربية الأولاد - كما هو المشاهد في يومنا هذا - .

وبذلك تسعد المرأة التي تلقت الدّروس من مدرسة أمّ البنين -عليها السلام- واتبعتها، ويسعد بها غيرها من أولادها وذويها، فيكون الإحسان عائداً لنفسها قبل غيرها، قال سبحانه: **(إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا)**(٢).

ولا شك أنّ ذكرى السّيّدة أم البنين -عليها السلام-، وذكرى العظماء رجالاً أو نساءً، موجب للأجر والثّواب قال -تعالى-: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)(٣).

بالإضافة إلى أنّ ذكرى الأخيار والخيّرات تملأ النّفس الإنسانية بالصحيح النافع .

وقد ذكر العلماء بأنّ حال النّفس حال المعدة، فتُملأ تارة بالطّعام الصّحيح وتارة بالفاسد، وملؤها بالصّحيح يصلح لها الدّين والدّنيا، وملؤها بالفاسد يفسد عليها الدّين والدّنيا .. في الفرد والمجتمع.

فسيرة العظيمات تُربّي العظيمات، بل وحتى العظماء في الأمور المشتركة كالعبادة والزّهد والتّقوى، فسيرتهن تربية للرّجال والنّساء.. والبنين والبنات.. للبشرية جمعاء.

أمّ البنين ليست امرأة عاديّة

هل السّيّدة أم البنين -عليها السلام- امرأة عاديّة كسائر النّساء، وليس لها فضل غير أنّها زوجة أمير المؤمنين -عليه السلام-؟

الجواب: إنَّ السّيّدة أم البنين الكلابية أم أشبال أمير المؤمنين -عليه السلام- لم تكن امرأة عادية كسائر النّساء، بل كانت من أولياء الله -تعالى-، وكانت تقدّم أبناء الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء -عليها السلام- على أبنائها، وهي من علّمتهم أن لا سواء بينهم وبين الإمام الحسن والإمام الحسين -عليهما السلام- والسيدة زينب -عليها السلام-، فندبتهم للموت دونهم، وقدّمتهم بكل سخاء لتنال بذلك رضا الله -تعالى- ورضا نبيّه -صلى الله عليه وآله-، وتكون مُبيضة الوجه غداً عند سيّدتها فاطمة الزّهراء -عليها السلام- تزف أولادها الأربعة الى أعراس المنيّة وهي تعلم أنّهم يسبحون كالأقمار في غدير الدّماء، فهي تتعامل مع الإمام الحسين -عليه السلام- باعتباره الإمام المفروض عليها طاعته، فهي وإن لم تخرج بجسدها مع الرّكب الحسيني إلى كربلاء إلّا أنّها أخرجت أفلاذ كبدها، وقد ذابت هذه السّيّدة الجليلة في ولائها لأهل البيت -عليهم السّلام-،

وتمسّكت بهداهم وبآثارهم حتى صارت من أولياء الله المقرّبين، وصارت من السّابقين في هذا الميدان، وصارت ذا جاه عريض وعظيم عند أهل البيت -عليهم السلام- وعند الله -تعالى-.

هي من أبواب الله-تعالى-، وزوجة خير خلق الله بعد النّبي -صلى الله عليه وآله- عاشت في كنف سيد المسلمين-عليه السلام- وفي ظلّ بيت ضم قبلها فاطمة الزّهراء سيّدة النّساء -عليها السلام-، ومن ثم ضم الإمام الحسن والإمام الحسين والسّيّدة زينب والسّيّدة أم كلثوم -عليهم السلام-، إنَّها كانت امرأة ولدتها الفحول من العرب من ذوي البيوت والحسب والنّسب.

هي تلك المرأة التي كان يريدها الإمام علي -عليه السّلام-، وعاشت بعد أمير المؤمنين ولم تتزوج من غيره، ولم يعرف التاريخ أنّ شريكة تخلص لأبناء شريكتها، وتقدّمهم على أبنائها سوى هذه السّيّدة الزّكيّة فقد كانت ترى ذلك واجباً دينيّاً، وطلبت من الإمام أن يعهد إلى أهل بيته أن لا يدعوها أحد بعد ذلك باسمها (فاطمة) مخافة أن يتذكّر أبناء فاطمة الزّهراء -عليها السلام- أمهم فيتجدد حزنهم فدعاها أمير المؤمنين بأم البنين، إنَّها شريكة الإمام المعصوم الذي قد استضاءت بأنواره، وربت في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه، وتأدّبت بآدابه، وتخلَّقت بأخلاقه.

لقد جعل الله سميّة فاطمة الزّهراء، وأمّ أشبال أمير المؤمنين باباً من أبواب رحمته، ما قصدها أحد إلَّا ونال قصده، وما توجَّه بها الى الله -عز وجل- إلا أعطي سؤله، ومن شاء فليتوسّل إلى الله-تعالى- بها ليعلم صدق ذلك.

سفرة أمّ البنين-عليها السلام-

ما هي حقيقة سفرة أم البنين-عليها السلام-؟

سفرة أمّ البنين ما هي إلا مأتم حسيني لا يختلف عن المآتم الأخرى.

أو عبارة عن طعام، يُطعم فيه المؤمنون والمؤمنات، وهذا بحدّ ذاته محبوب بل مستحبّ

إطعام المؤمنين باسم وليّ من أولياء الله -تعالى-، وفيه ثواب عظيم وجزيل يعود للباذل، وفيه خير وبركة لمن أحلّه في بطنه.

فهي سفرة روحية للقلوب تُنعش الرّوح بذكر آل محمد-عليهم السلام-، يُتلى على الطّعام الموضوع بعض الأدعية للبركة، ومعظم السّفر لا تقتصر على ذكر أمّ البنين، بل على مصيبة كربلاء والسّيدة فاطمة الزّهراء-عليها السلام- وحديث الكساء وبعض الأدعية والزّيارات...

ونحن لا ندّعي أنّ سفرة أمّ البنين -عليها السلام- التي تعارف عليها بعض المؤمنين قد ورد فيها نصّ مكتوب من أئمّتنا الطّاهرين -عليهم السلام-، ولكنّها داخلة تحت عموميّات ومستحبّات إقامة العزاء على سيّد الشّهداء وأخيه المولى سيدنا أبي الفضل العبّاس -عليهما السّلام-، فما الضّير في أن تُعقد سفرة حبّاً لها ولولديها الكريمين مولانا الإمام الحسين والعباس -عليهما السلام-؟ فالسّفرة إنّما تُعقد حبّاً لها ولأولادها الطّيبين الطّاهرين -عليهم السلام-..؟!! ونحن نسأل الرّافض للسفرة: لو أنّك عقدت سفرة لضيفك المحبوب وعلى شرفه فهل كنت تستحي من دعوة الآخرين إليها لأجل محبوبك الغالي على قلبك؟! وهل كنت تستهزئ بمن حضر إليها بحجّة أنّه لا نفع فيها ؟! أم أنّ السّفرة لأجل المحبوب فيها نفع عظيم لمن حضر إليها وتزيد من موادها كرامة لأجل المحبوب وتقرّباً إليه زلفى..؟! .

إنّ سفرة مولاتنا أمّ البنين -عليها السلام- فيها منفعتان: نفعٌ ماديٌّ وهو الإطعام، ومعنويّ وهو المحبّة لها ولأولادها وتذكير المؤمنين بمصابهم الأليم، لأنّ السّفرة إنّما عُقِدَتْ لأجل المحبّة لها، فكان إطعام الفقراء والمؤمنين المجتمعين على مائدة سيّد الشّهداء وأخيه سيّد الأوفياء -عليهما السلام-، فالسّفرة نظير الإطعام في عاشوراء على حبّ محمد وآل محمد -صلوات الله عليهم-والتّذكير بمصائبهم وظلاماتهم.. وليت المُنكر للسّفرة -ولكون أمّ البنين امرأة فوق العادة- أن يعلمنا عن وجه الحكمة من

إقامة المآتم والموائد في أيّام ظلامات أهل البيت والعصمة -عليهم السلام- لا سيّما في أيّام محرّم الحرام..؟! فإذا قال: بأنّها لأجل التّذكير بظلامات ومآسي عاشوراء فلتكن سفرة مولاتنا أم البنين -عليها السلام- من هذا القبيل، وإن كانت الموائد العاشورائية لأجل المحبّة لسيّد الشّهداء وإخوته وأهل بيته الطّاهرين -عليهم السلام- فلتكن سفرة مولاتنا أمّ البنين -عليها السّلام- من هذا القبيل أيضاً..! ومهما كانت الأسباب والدّواعي لإقامة الموائد والسّفر في عاشوراء وغيرها من أيّام الأحزان على سادة الورى ومصابيح الدّجى فلتكن سفرة مولاتنا أمّ البنين -عليها السلام- تحمل عنواناً بنفس تلكم العنوانات الحزينة المُذكّرة بأيّام الله -تعالى- والمتضمّنة للقربة إلى الله -تعالى- وإلى الحجج الطّاهرين -صلوات الله عليهم أجمعين- إلا إذا كان المنكر لفضل أمّ البنين وللسفرة المنسوبة إليها لا يعتبر القربة إلى الله -تعالى- بإطعام الطعام والتّذكير بالمصاب شيئاً ذا قيمة واعتبار..! فساعتئذ ننصحه بتجديد الإيمان والاعتقاد بمن لأجلهم قامت السّماوات والأرضين وأوجب الله -تعالى- على العباد الأحكام والقوانين..! ونحن نذكّره بقول مولانا وإمامنا زين العابدين -عليه السلام- في مناجاته مع الله -تعالى- في مناجاة المحبّين: (**يا منى قلوب المشتاقين ويا غاية آمال المحبّين، أسألك حبَّك وحبَّ من يحبك وحبَّ كلّ عملٍ يوصلني إلى قربك..**)(٤) فسفرة أمّ البنين -عليها السلام- التي انعقدت على اسمها واسم أولادها هي مما توصلنا إلى قربه -تعالى- وإلى القرب منها ومن بعلها وأولادهما -عليهم السلام-.. وصدق مجنون ليلى حينما قال:

أمُرُّ على الديار ديار ليلى أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

فنحن والمؤمنون الموالون لم نُشغف في المائدة والسّفرة؛ لأنّها مائدة وسفرة بل لأنّها منسوبة إلى من نحبهم ونعتقد بولايتهم وطهارتهم وهم أمير المؤمنين وسيّدة النّساء الصّدّيقة الكبرى والسّيّدة أمّ البنين وبقيّة أزواج أمير المؤمنين وأولاده الطّيبين الطّاهرين

-عليهم السلام- تماماً كما لم يشغف مجنون ليلى بتقبيل الجدار لأنّه جدار بل؛ لأنّ ليلى تسكن وراء ذلك الجدار وذاك الجدار....

الهوامش:

١ - قرب الإسناد/ ص١٨.

٢ - سورة الإسراء/ الآية: ٧.

٣ - سورة الحج/ الآية: ٣٢.

٤- بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٩١/ ص١٤٩.

يا أم البنين

البينات
عليهم السلام
وسائل الفيض الإلهي
سماحة السيد منير الخباز/أستاذ في الحوزة العلمية
٤٣
البينات
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١).

إنَّ الله -عز وجل- هو المفيض للوجود بجميع ألوانه من الخلق والرزق والشفاء وقضاء الحاجات، إلَّا أنه شاءت حكمته أن يربط إفاضة الحياة والعطاء ببعض الوسائط، لا لقصور في الفاعل، وهو الله -تعالى- فإنّ قدرته وعلمه تام الاقتضاء، ولا يتوقف على شيء، ولكن لقصور في القابل وهو مورد العطاء، والواسطة قد تكون مادية، كواسطة الريح لنزول المطر وواسطة الماء لحياة جميع الكائنات الحية قال -تعالى-: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)(٢).

فإنّ الأثر المادي المحض يفتقر لسبب مادي فالقصور في نفس الأثر لا في فياضيته -عز وجل-، وقد تكون الواسطة برزخية بين عالم المادة وعالم المجردات، كواسطة الملائكة في تدبير الكون فإنّه قال -تعالى-: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)(٣)، وقال في آية اخرى (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)(٤) فمع أنه هو منبع الفيض والتدبير إلَّا أنه جعل الملائكة واسطة في التدبير لقصور في نفس الكون وحاجته الذاتية للملائكة، وقد تكون الواسطة روحية، وهي التوسل الذي أشارت له الآية (**وابتغوا إليه الوسيلة**)(٥)، والوسيلة الروحية قد تكون عملاً كما قال -عز-وجل- (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)(٦)، وقد تكون مكاناً كما قال -تعالى-: (**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**)(٧)، وقد تكون شخصاً كما قال -تعالى-: (**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما**)(٨)، فهو -تعالى- منبع الجود ومصدر الرزق والشفاء وهو أقرب للعبد من نفسه كما قال-تعالى-: (**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**)(٩) ولكنه مع قربه أمرنا بالتوسل بما مضى ذكره من الوسائل لا لقصور في فاعليته وفياضيته بل لقصور في العبد، حيث أنه لا يمكنه الحصول على القرب منه -تعالى- إلا بواسطة في الفيض عملاً أو مكاناً أو شخصاً، فقربه عين إحاطته

بنا، ولكن قربنا منه يفتقر للواسطة المقربة منه -تعالى-، ومن تلك الوسائط الشريفة أم البنين الشهداء الأربعة زوجة أمير المؤمنين -عليه السلام- .

فإنها بسبب فدائها لدينها ومبادئها بأعز شيء عندها وهم أفلاذ كبدها أصبحت وسيلة يتضرع بها إلى الله-سبحانه- من أجل إفاضة النعم بكل ألوانها من الرزق والشفاء وقضاء الحاجات، وقد دأب المراجع العظام على التوسل بها ومنهم سيد الطائفة أبو القاسم الخوئي - طاب ثراه - الذي كان من سننه الحسنة التي ورثها عن شيخه المحقق الأصفهاني - قده - إهداء صلاة الليل لروحها -عليها السلام- ولذلك بركات عظيمة في الرزق والعافية وإزاحة الضيق والكرب مهما كان، ولقد تعلمنا من إخواننا في العراق أن من قرأ الفاتحة وأهدى ثوابها لروح أم البنين وهو مقبل على امتحان أو عملية جراحية أو عدو يخاف منه كفاه الله وحماه ببركتها، وقد جربنا ذلك مراراً ووجدنا أثره الواضح هذا أولاً وثانياً، أن فاطمة الكلابية أم البنين -عليه السلام- تعلمت من بيت الهدى أن منصب الإمامة والنبوة هو أعلى مقام وأن الولاية للمعصوم -عليه السلام- هي أثمن شيء عند الله-تعالى-، كما في صحيح زرارة عن الصادق -عليه السلام- «**بني الاسلام على خمس، الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية وهي مفتاحهن والدليل عليهن، وما بني الدين على شيء كما بني على الولاية**»(١٠) ولذلك بذلت أفلاذ كبدها وحياتها في سبيل مبدأها وعقيدتها وهي فداء إمام زمانها سيد الشهداء شرعاً وواقعاً الحسين -عليه السلام-، وكانت فخورة بذلك فرحة بأنها قدمت أبناءها الشبان الأربعة هدية للبتول الشهيدة فاطمة الزهراء -عليها السلام-.

ونحن إذ نحيي هذه الذكرى العطرة ونتوسل ببركة صاحبة الذكرى في تفريج همومنا وقضاء حاجاتنا فلنتعلم منها درساً تربوياً مهما، وهو الثبات على المبدأ، خصوصاً في هذه الأيام التي نتعرض فيها للحملات الإعلامية الظالمة التي تحاول أن تسيء الى عقيدتنا أو علمائنا أو أعراضنا وكرامتنا لتزرع في قلوبنا الخوف والقلق من الثبات على الولاية

التامة، أو تستغل شعار التقارب من دون حسن نية لتزحزح عقيدتنا الراسخة في أهل بيت العصمة -عليهم السلام- المبنية على الولاية والبراءة وإحياء شعائرهم، لكننا على بصيرة ووعي وحذر شديد أمام كل المحاولات فقد علمنا قادتنا من أهل البيت -عليهم السلام- ومراجعنا العظام الأدب الرفيع والقيم الإسلامية، وأنه كما علينا احترام أبناء المذاهب الإسلامية وعدم الإساءة لكرامتهم وتطبيق المبدأ القرآني **(ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)**(١١) من أجل الحفاظ على الدين والدفاع عن الشريعة ومحو أسباب التوتر الطائفي، فإنهم علمونا ايضاً ضرورة الثبات على المبدأ والولاية ببذلهم وعطائهم وفي طليعة ذلك العطاء ماقامت به أم البنين -عليها السلام-، رزقنا الله-تعالى- شفاعتها وقربها في درجات العلى.

الهوامش:

(١) سورة المائدة/ الآية: ٣٥.

(٢)سورة الأنبياء/ الآية: ٣٠.

(٣) سورة يونس/ الآية:٣.

(٤)سورة النازعات/ الآيات: ٤-٥.

(٥) سورة المائدة/ الآية: ٣٥.

(٦) سورة البقرة/ الآية: ٤٥.

(٧) سورة البقرة/ الاية: ١٢٥.

(٨) سورة النساء/ الآية: ٦٤

(٩) سورة ق/ الآية: ١٦.

(١٠) بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ بحار الأنوار / ج ٦٥ / ص٣٢٩.

(١١) سورة الأنفال/ الآية: ٤٦.

٤٧
البينات
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

لا تدعوني وَيْكِ أمّ البنين

أم البنين عليها السلام

باب الحوائج إلى الله تعالى

فاطمة كامل المسعودي/باحثة اسلامية

٤٩
أم البنين
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمَّد وعلى آله الطّيبين الطّاهرين(صلوات الله عليهم أجمعين)..

قبل أن نبدأ بالحديث عن كرامات السّيدة أمّ البنين -عليها السلام- نبيِّن للقارئ الكريم أنّ البحث يتبنى أنّ الكرامة هي المعجزة ذاتها، وحينما نقول كرامات أمّ البنين فنحن نقصد معاجزها -سلام الله عليها- وكما سيتّضح من خلال هذه المقدّمة:

المعجزة: هي كلُّ أمر خارق للعادة مقرون بالتّحدّي أو لا، غير قابل للنّقض، يدل على صدق الدّعوى، ومعنى ذلك...أنَّ المعجزة أمر خارق للقوانين والأنظمة الطّبيعة، فمثلاً من المألوف أنّ الحالة الطّبيعة للماء هي السّائلة فما فعله نبي الله موسى -عليه السلام- أنّه ألغى هذا القانون، واستطاع أن يمرّ هو وأتباعه، ثم أعاد قانون الانسيابية الى الماء فلما دخل فرعون وقومه غرقوا والقصّة معروفة.

أما بالنّسبة للتّحدي فقريش على سبيل المثال طلبوا من رسول الله-صل الله عليه وآله- أن يشق القمر فأشار-صلى الله عليه وآله- إلى القمر فانشقّ نصفين بقدرة الحق (تعالى)، وفي بعض الروايات أنّ هذا كان ليلة أربع عشر من ذي الحجة(١)، وإلى هذه المعجزة يشير القرآن الكريم في سورة القمر: **(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)(٢)**، كما أنَّ المعجزة غير قابلة للنّقض والإبطال بخلاف السّحر والشّعوذة فالسّحر يبطل بعضه بعضاً، والشّعوذة ممكن أن تنكشف أسبابها فتفشل، وهكذا...

أولاً: وأمّا دلالتها على صدق الدّعوى يكمن فيما إذا كان المدّعي صادقاً، وأمّا إذا امتنع صدقه عقلاً أو نقلاً فلا تكون كذلك، وإن كان الفعل معجزاً كأن يدّعي أحد بأنّه شريك لله -عزّ وجلّ- وتعالى عن ذلك علواً كبيراً(٣).

ثانياً: امتناع صدورها على يد الكذّاب أو الجاهل؛ لأنّ ذلك إشادة بالباطل وإغراء للنّاس، وهذا محال على الرّب الكريم.

ثالثاً: وضوحها لكلِّ النّاس، وعدم اختصاصها بفئة دون أخرى، فالمعجزة من أهمّ

الصّفات الظّاهرية للأنبياء بل تكاد تكون من لوازم النّبوة؛ لأنّها دليل قوي على القضية المدّعاة لكل النّاس(٤)... وهذه القوّة الموهوبة من الله -تعالى- لأنبيائه وفق اللّطف والاستحقاق تجري في الإمامة، فالأولياء يتمتّعون بهذه الهبة الرّبّانيّة وبإمكانهم أن يفعلوا المعجزة كما يفعلها النّبي-صلى الله عليه واله-، وقد حاول البعض التفريق بين المعجزة والكرامة فبيَّن أنّ الكرامة من اختصاص الأولياء لكن الدّقّة العلمية تنفي ذلك؛ لأنّ كِلاهما خرق للنّواميس الطّبيعية، وسبب هذا التّفريق لمّا شاهدوا المعجزات الصادرة من أهل البيت -عليهم السلام-، ولم يتمكّنوا من إنكارها عمدوا إلى التّقليل من شأنها مُطلِقين عليها اسم الكرامة بدل المعجزة، والسبب في حقيقته سياسي عقائدي وليس علمياً(٥)، ونحن حينما نقول المعجزة تظهر على أيدي الأنبياء والأولياء فلا نعني بذلك اختصاصها دون النّساء، ويظهر ذلك جليّاً في قصة مريم -عليها السلام- القدّيسة المباركة يحكي القرآن الكريم عنها قائلاً: (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**)(٦) فالذي يظهر المعجزة للسّيدة مريم يظهرها لغيرها من النّساء كفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، والسّيدة تكتم أمّ الإمام الرضا-عليها السلام- والسّيدة نرجس أمّ الإمام المهدي -أرواحنا له الفداء، وعجل الله فرجه- والسّيدة الطّاهرة -أمّ البنين- حليلة أمير المؤمنين، وأم البنين الأربعة الذين ضحت بهم فداءً للدّين، ونصرة وطاعة للإمام أبي عبدالله الحسين فلا عجب أن يهبها الله تعالى قضاء الحوائج وتحقيق المعاجز وهي حيّة عند الله-تعالى-، ولكن لا يشعر بها إلا من تعلّق قلبه بمحمد وآل محمد-صلوات الله عليهم أجمعين- وندبها واستغاث بها.

و إليك عزيزي القارئ بعض **معاجزها(صلوات الله عليها)**:

الكرامة الأولى: امرأة عاقر تُرزق بنتاً ببركة أُمّ البنين -عليها السّلام-

امرأة تُدعى وزيرة وهي من عائلة تركيّة حنفية المذهب، وقد سكنت هذه العائلة في

مدينة الكوت، وكانت هذه المرأة عاقراً، فبالرّغم من مرور عشر سنوات على زواجها لم تكتحل عيناها بطفل يضيء ظلمة وحدتها، لقد كانت وزيرة تتثاقل من الشّعائر الحُسينية، فقالت لها بعض النّساء يوماً: لِمَ لا تلتمسين الدّعاء والتّوجه إلى الله -تعالى- بأمّ البنين؟ فقالت: لا فائدة من ذلك،لقد عجز الأطبّاء وحتى استخدمنا العقاقير الشّعبية، وصمنا يوم زكريا -عليه السّلام- ولكن دون جدوى. فقلن لها: جرّبي هذا الأمر، احضري مجلس عزاء أُمّ البنين، وكُلي من سفرتها وما يضرّك فلعلّ الله -تعالى- يرزقك طفلة تسمّيها فاطمة تيمّناً بأمّ البنين، فماذا تقولين؟ وأخيراً وافقت وزيرة على حضور مجلس عزاء أُمّ البنين والّذي سيُقام في بيت الحاجّة أُمّ عبد الأمير وشرطت على صديقاتها أن لا يعلم زوجها وأهله بالأمر. وفي اليوم التّالي خرجت وزيرة من بيتها والوجل يرافقها وعلى وجهها خمار، ومن خجلها تتصبّب عَرَقاً وهي متّجهة نحو بيت أُمّ عبد الأمير بخطى أفكارها المضطربة، وصوت القارئ يقترب من مسامعها فيشدّها الأمل لإيقاظ روحها المعذّبة، وعندما دخلت البيت والقارئ في ختام نعيه الأوّل لمصيبة أُمّ البنين والنّسوة بضجيج عويلهنّ خشع قلب وزيرة لبكائهنّ وهي تلملم أحزانها لتصبّها في سجلّ البكّائين، وعندما انتهى القارئ من سرد حياة أُمّ البنين ووفائها لأهل البيت -عليهم السّلام-، وأتمّ مجلسه بالنّعي على مصيبة الحُسين -عليه السّلام-، دعا للمرضى بالشّفاء، وبعد ذلك فُرِشت سفرة أُمّ البنين والنّسوة يتبرّكن بها، وقد جلسْنَ حول سفرتها يلتمسْنَ الشّفاء وقضاء الحوائج، فأخذت وزيرة منها ويداها ترتعشان،ثمّ قامت وخرجت والدّمع في عينيها، مرّ شهر واحد أو يزيد قليلاً ووجه وزيرة يميل إلى الاصفرار ودوار في الرّأس يصحبه زكام في الصّدر قليلة الاشتهاء للطعام، كثيرة النّوم تتضايق من الأماكن المزدحمة تتثاقل من كل عمل يعطى لها، قال لها زوجها: ما بكِ يا وزيرة ؟ أمريضة أنتِ؟ قالت لا أدري فأخذها إلى الطّبيب وبعد أن فحصها الطّبيب قال لا شيء إنّها من علامات الحمل وللتّأكّد من ذلك اذهبي غداً إلى مركز التّحليل، عندها

أجهش الزّوج بالبكاء من شدّة الفرح، وهو يقول أمطمئنّ أنت يا دكتور؟ فيجيبه وبكلّ برود نعم، ومرّ سواد اللّيل وهما يتقلبان في فراشهما والخيال يحاورهما بالأمل، وعندما أسفر الصّباح وبدت الحياة والحركة في شوارع المدينة ذهبا إلى المستشفى لإجراء التّحليل، وبعد انتظارٍ والفكر يعتصر الفؤاد نادى الموظّف باسمها نهضت وهي لا تقوى على حمل نفسها فأسرع زوجها وقال نعم فما النّتيجة؟ فنظر الموظّف في ورقة التّحليل وقال: إنّها حامل، فطار زوجها فرحاً وهو يقول الشّكر لله الحمد لله ثمّ ضمّ وزيرة بجوى قلبه وهو يقول: لا أكاد أن أُصدّق وبدت على شفتيها ابتسامة الأمل فتلتئم تلك الجراحات المعذّبة، وعندما دخلا البيت سَجَدَا لله شكراً وذِيع الخبر وعمّت الفرحة والدّهشة بحملها وبقي نذر أمّ البنين مدفوناً في صدرها، لقد أصبح الزّمن عندها كمسير شيخ جاوز التّسعين وهي ترتقب الجنين ونصائح النّسوة تملأ فكرها فينمو الخوف في نفسها وهي متحذّرة من المصير، وذات يوم وفي شهرها الثّالث والألم يعتصر بطنها ضارباً ظهرها فيدبّ الحزن فيها والأهل والجيران يتسارعون بها إلى المستشفى وزوجها يقبّل يدي الطّبيب متوسلاً إليه يحفظ الجنين والطّبيب يقول هذا بأمر ربّ العالمين إن أراد حفظه وإن أراد أسقطه، وكما أنّها لا تحتاج إلى دواء بل الرّاحة وعدم الحركة وتبقى هنا ثلاثة أيام، وعندما سمعت وزيرة كلام الطّبيب استغاثت بحرقة وحنين بأمّ البنين، فخفّ عندها الألم وعادت البسمة في شفاه الزّوج والأهل والمحبين، مرّت الأشهر ودخلت شهرها التّاسع، وعند مطلع فصل الرّبيع وقبل أذان الصّبح بسويعات أخذها الطّلق، الأهل والجيران رافعين أيديهم بالدّعاء والتّكبير لسلامتها وسلامة طفلها، وعندما أذّن المؤذّن وضعت وزيرة حملها فتباشروا بفرح وسرور ....(٨).

الكرامة الثانية: النجاة ببركة السيدة أم البنين -عليها السلام-

حدّثني السّيد حسين الحيدري إمام مسجد حيّ القادسيّة في كربلاء المقدّسة: عندما يكون الإنسان مطارداً من قبل الطواغيت فكابوس الخوف لا يفارق خواطره لا سيّما

بالنّسبة للذين عاصروا أشدّ الطواغيت عتوّاً ألا وهو صدام، وقد شمل طغيانه كلّ فئات المجتمع ولم يستثنِ أحداً، وكان من خبثه ودناءته أن جعل على النّاس جواسيساً بعضهم على بعض، وحين اجتمعت أسباب الخوف كلّها كنت لا أشعر بالأمان إلا في وسط الأهوار عندما أتجاوز سلطان الدّولة وتكون يدي على قبضة السّلاح فمن جانب كنت مطلوباً للأمن وكنت مطلوباً للخدمة في الجيش بالإضافة إلى أنّي كنت سجيناً وقد أطلق سراحي قبل وقت قليل، وفي هذه الحالة كنت أرى كل من ينظر إليّ وكأنّه رجل أمن.. وفي يوم من الأيام جئت لزيارة كربلاء لزيارة سيدي ومولاي أبي عبدالله الحسين وأخيه أبي الفضل العباس-عليهما السلام- بسيّارة أجرة وكانت معي زوجتي وكنت مطارداً في وقتها وقد كنت لا أقدّم مستمسك إلا إجازة السَّوْق، وحين مجيئي الى كربلاء للزيارة كنت مدعوّاً في بيت أخي وصاحبي الذي كان مسجوناً في نفس الزنزانة التي كنت مسجوناً فيها وهو الأخ أبو رعد الذي يسكن في(حي الغدير)، وقد كانت زوجتي تمكث عندهم وهم ينتظرون قدومي لتناول وجبة الغداء، وبعدها قمنا بزيارة الإمام الحسين-عليه السلام- أنا وزوجتي، وفي اليوم التالي توجّهت لوحدي ففكّرت أن أذهب الى الزيارة وفي نفس الوقت أعمل كسائق (تكسي) ثم أصلّي في المشهد المطهّر وأزور ثُمّ أرجع الى بيت صديقي، وقبل ذهابي الى سيدي ومولاي- عليه السلام- حَدَثَ لي حادث غير متوقّع وأنا أقود السّيارة ففي الطريق صادفت رجلاً كبيراً في السّنّ وبعد تنبيهه وقع على الأرض فوقعت في حيرة شديدة، وأخذته الى المستشفى الحسيني وبعد إجراء الفحوصات اللّازمة تبيّن أنه سليم ولم يصب بأيّ أذى فطلب منه الطّبيب المختص أن يتنازل عنّي ليُطلقوا صراحي ولكنّه رفض؛ لأجل أن يستفيد شيئاً من المال عوضاً عمّا حدث، فحُجزت سيّارتي ولم يطلق القاضي صراحي؛ لعدم تنازل صاحب الدّعوى فأُخِذْتُ إلى السّجن وتبادر إلى أذهان عائلتي أنّ قوات الأمن قد أخذوني، وبينما أنا في السّجن وأنا في حالة غربة توجّهت إلى السّيّدة الطّاهرة أمّ البنين، وقرأت

سورة الفاتحة وأهديتها إليها وإذا بشرطيّ وكأنّه يعرفني قال لماذا لم يُطلق صراحك فقلت له: لأنّ صاحب الدّعوى لم يتنازل، فعند ذلك أخذني ودخل إلى القاضي وكانت له علاقة خاصّة به فوقّع القاضي على إطلاق صراحي ثمّ سألني عن سيّارتي فقلت له إنّها في الحجز، فانطلق معي فأخرج السّيارة فقلت له أنا اليوم مدعوّ وأنت معي فأخذته معي إلى بيت صديقي وهنا تكمن المفاجأة إذ دخل الشّرطي إلى بيت صديقي بلا استئذان وأدخلني إلى الاستقبال وأخذ ينقل سفرة الطّعام وتبيّن لي أنّه شقيق صاحب الدّار أي صاحبي أبو رعد وعند ذلك سألته عن سبب مساعدته لي؛ قال عندما خرجتُ من المنزل إلى مكان عملي رأيتُ سيّارتك في باب أخي وحفظت رقمها وعندما أتيت إلى المركز الذي فيه سيارتك المحجوزة تذكّرت أنّها كانت في بيت أخي فسألت عنك فقالوا إنّ صاحبها في السّجن فعند ذلك أسرعت لنجدتك(٨).

الكرامة الثالثة: أمّ البنين .. الفاقدة أربع شباب

ذكر سماحة الشيخ الخويلدي -حفظه الله- أنّه بالتّحديد في مدينة صفوى ... كان هنالك طفل في الثالثة من عمره .. ينتمي لإحدى العوائل المعروفة على مستوى المنطقة. كان هذا الطفل كثيراً ما يشاهد قناة الأنوار الفضائية .. ومما حفظه منها ... أنشودة " أمّ البنين " للمنشد نزار القطري .. فكان الطّفل يرددها كثيراً ..

وذات يوم كان الطفل يلعب مع أخيه في الطّابق الثالث بكرة القدم .. حتّى سقطت الكرة من الأعلى .. فبدأ الطّفل صاحب الثلاث سنوات بالبحث عنها .. حتى تسلّق جداراً لكي يصل إلى الكرة التي سقطت من نفس المنطقة .. وأثناء تسلّقه كانت تلك الأنشودة " أم البنين " تتردّد على لسانه .. ويردد ويقول وهو يتسلّق الجدار" أنا أمّ البنين الفاقدة أربع شباب "

فواصل التسلّق حتى مدَّ رأسه لكي ينظر للأسف بحثاً عن الكرة .. وإذا به يهوي على رأسه من الأعلى للأسفل .. على الدور الثاني .. ثم إلى الدور الأول!

وإذا بأخيه يذهب لأهله ويخبرهم .. فتراه أمه فتسقط مغشيّاً عليها ..

ذهبوا به إلى مستشفى مشهور على مستوى المنطقة ..

وبعد فحص الطبيب بالأشعة والطّرق الأخرى .. قال الطبيب لعائلة الطّفل: ابنكم سليم جداً وليس به أدنى ضرر في جسمه! بل لا داعي لأن يبقى لحظة في المستشفى .. إنّه سليم !!

وعندما سألت الأم طفلها عن مجريات الحادثة وتفصيلها وماذا حصل معه بالتّمام .. قال الطّفل:

كُنت ألعب مع أخي .. فسقطت الكرة أسفل .. فَذهبْت لأجلبها فسقطتُ من أعلى .. وإذا بامرأة تلبس رداءً أخضراً تلتقطني .. وقالت لي: أنا أمّ البنين .. جئت أنقذك من أجل الحسين .. (٩).

الكرامة الرابعة: الشفاء من المرض

ينقل الأخ الدّكتور أبو فاطمة حسن جودي الحلّي بأنّه بعد مجيئه من سنغافورا إلى الدّنمارك غزته الآلام بصورة مفاجئة، وأخذ جسمه يتعرّق بكثرة مع فقدانه لشهيّة الطّعام، وكان ذلك عام ١٩٩٧م فراجع أحد الأطبّاء الحذقين في (كوبنهاغن) فأجرى له فحصاً بالنّاظور فتبيّن أنّه قد أُصيب بأورام في الأمعاء الغليظة، وكنت بنفسي أُشاهد مع الطّبيب منطقة الورم بقدر الجوزة الصّغيرة، وعند ذلك اتجهت إلى سيّدتي ومولاتي أمّ البنين -عليها السلام- وخاطبتها (ليس صعباً عليكِ أن ترفعيه الآن يا أمّ البنين) .

جاؤوا بالأدوات الجراحية وبعد مرور نصف ساعة أعاد الطّبيب النّظر في المكان نفسه، وأخذ يبحث عن الورم فما رأى له أثراً فتعجّب الطّبيب الجرّاح وقال: ليس هناك أي ورم فقال له: ماذا فعلت في هذه اللّحظة؟ قال: توجّهت إلى جانب معنوي، لقد توجّهت إلى سيّدتي أمّ البنين -عليها السلام- حليلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- عليه السلام-، فتعجّب الطّبيب من كلامي (١٠).

الهوامش:

١-منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل-عليهم السلام-/ الشيخ عبّاس القمي/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م/ دار المجتبى/ النجف الأشرف/ ج١/ ص٤٤

٢-سورة القمر/ آية١ .

٣-عقائد أهل البيت-عليهم السلام-/ فاضل الفراتي/ ط١/ ٢٠٠٨م/ كربلاء المقدسة/ ص١٢٧.

٤- المصدر نفسه/ ص١٢٧.

٥- المصدر نفسه/ ص١٣٢ .

(٦)- سورة آل عمران/ آية٣٧ .

(٧) قصّة أمّ البنين-عليها السلام-/ محمد باقر النّاصري/ ط١/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م/ مكتبة الباقر/ بيروت لبنان/ ص٩٦-٩٧-٩٨-٩٩ .

(٨) السّيدة أمّ البنين سيرتها وكراماتها/ الشيخ أشرف الزهيري/ ط١/ ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م/ الأعلمي بيروت لبنان/ ص٢٠٣-٢٠٦ .

(٨) نقلاً عن السّيد الخطيب حسين الحيدري.

(٩) نقلاً عن الشيخ الخطيب حسن الخويلدي.

(١٠) ينظر أشرف الزهيري/ المصدر السابق/ ١٩٨-١٩٩.

أم البنين

قمر هاشم

٥٨
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

السيدة أم البنين عليها السلام مثال الزوجة الصالحة

علي عاشور/باحث اسلامي

٥٩
أم البنين
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

لقد جاءت الشّرائع الإلهية لدفع الضّرر وتحقيق مصالح العباد، ولتصلح شؤونهم في العاجل والآجل في مقدماتها ونتائجها.

ومن هذه الأحكام الشّرعية الزّواج قال -تعالى-: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**(١).

ومن نصوص السّنّة النّبوية قول رسول الله -صلى الله عليه وآله-: **"ما بني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله عز وجل من التّزويج"**(٢).

إنّ كلّ الأديان السّماوية تعد الزّواج أمراً طبيعيّاً، وإنّه نظام قائم بين الرّجل والمرأة منذ بداية الخليقة، كما أنّ الشّرائع السّماويّة تنظر الى العزوبة على أنّها وضع غير طبيعي وغير سوي لكلّ من الرّجل والمرأة.

ولقد قام العديد من الباحثين بدراسة موضوع (تعدد الزّوجات) وبحثه وانتهوا إلى ثلاثة آراء فذهب أصحاب الرّأي الأول الى إباحته والدّفاع عنه وفقاً لنصوص الشّريعة الإسلاميّة، بينما ذهب أصحاب الرّأي الثّاني الى إباحته، ولكن بقيود لم تكن موجودة، ولم يجري العمل بها من النّاحية القضائيّة، فيما اتّجه أصحاب الرّأي الثّالث إلى تحريم التّعدّد واستنكاره زاعمين أنّه لا يتّفق وكرامة المرأة وحقوقها الإنسانيّة والاجتماعيّة(٣).

ولا يُنكر أنّ تعدّد الزّوجات تكرهه النّساء، ولا يقتصر هذا الكره وتأثيره عليهنّ وحدهنّ، بل يتعدّى الى ذويهنّ وأرحامهنّ. وحيثما يُثار هذا الموضوع الحسّاس والمُهم (تعدد الزوجات) وُجد تيّاران متباينان: الأوّل: شرعي فقهي يبيحه، والثّاني: تيّار نسوي مدعوم ببعض دُعاة المساواة والحرّيّة رافضاً التّعدّد صراحة أو ضمناً، وزاعماً أنّ العدل بين النّساء صعب المنال ونادر التّحقّق(٤) لقوله -تعالى-: **(وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)**(٥).

ولكن القول الفصل في هذا الموضوع الحسّاس هو الحكم الشّرعي الذي سنّه الله

-سبحانه وتعالى- لعباده؛ والذي ورد في الكتاب العزيز نصاً صريحاً يبيح التعدد ويحدده بأربع نساء فقط وهو قوله -تعالى-: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)(٦) .

وأمّا قوله -تعالى-: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)(٧) فإنّ العدل في قوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) هو العدل الواجب في القسم بين النّساء من طعام وكسوة ومنزل ومبيت، والعدل في قوله تعالى: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا) هو العدل في الحب والميل القلبي وهي أمور وجدانيّة وشعوريّة ونفي استطاعة العدل في الحب الخارج عن اختيار الإنسان لا يلزم نفي استطاعة العدل في القسم الدّاخل في استطاعته واختياره .

وذهب الإمام الخوئي -قدس سره- الى أن التّعدّد مستحب حيث قال: (الاستحباب لا يزول بالواحدة بل التّعدّد مستحب أيضاً) (٨).

أسباب التّعدّد

إن إباحة تعدّد الزوجات في الشّريعة الإسلامية هو تكليف للرجل بتربية وإعالة وإدارة أسرة أكبر مما لو كانت هذه الأسرة ذات زوجة واحدة، بل إنّ تعدّد الزوجات يعود بالفوائد الكبرى والمصالح الجليلة على المرأة والمجتمع أكثر من الرّجل، وليس هو حط من كرامة المرأة كما يدّعي الرّافضون للتّعدّد بقولهم (إنّ التّعدّد حط من كرامة المرأة ويضعها موضع المهانة .... هذا من جهة، ومن جهة أخرى عندما أجيز تعدد الزوجات في زمن نزول القرآن الكريم كانت الظّروف تستوجب التّعدّد بالزوجات وذلك لكون المرأة في ذلك الوقت لم تكن مستقلة اقتصادياً لذا تحتاج من يعيلها، واذا كانت أرملة ولها أولاد فتحتاج من يعيل أولادها، أما المرأة اليوم فهي تعمل وتنتج وتستطيع أن تعيل

نفسها وأولادها، وكذلك من واجب الدّولة ضمان الأفراد اجتماعياً وصحّيّاً)(٩) .

فإنّ الله -تعالى- لم يحط من كرامة المرأة عندما شرّع تعدّد الزّوجات، كما أنّ السّبب لم يكن من أجل الإعالة والجانب الاقتصادي فقط، وإن كان بالفعل هو أحد هذه الأسباب، وإنّما وضع التّعدّد لأسباب أخرى كثيرة، كما أنّ لكلّ حكم في الشّريعة الإسلاميّة حكمة وعلّة قد يدركها العقل البشري أو لا يدركها . وما يميّز نظام الحقوق الإسلاميّة عند مقارنته بالنّظم الحقوقيّة الأخرى أنّ الحقوق في الشّريعة الإسلاميّة هي منح من الله -تعالى- لعباده فهو المشرّع -سبحانه-، في حين أنّ البشر هم مصدر التّشريع في بقية النّظم، والإنسان رؤيته ناقصة وليس بمقدوره أن يعرف الحوادث التي تقع في المستقبل فيسن لها القوانين بل يسن قوانين لما يواجه من أمور في الحاضر دون المستقبل، بينما الله -سبحانه وتعالى- لا يعزب عن علمه شيء، بل كل شيء مشهود عنده، فستأخذ التّشريعات والقوانين التي يسنّها لعباده جميع ما يحتاجونه في دنياهم بكل مكان وزمان (١٠) .

وقد عزى بعض علماء الشّريعة إباحة التّعدد الى جملة من الأسباب ومنها ما يأتي:

١ ـ قلة الرّجال وكثرة النّساء، نتيجة الحروب التي تفني عدداً كبيراً من الشّباب العزّاب او المتزوّجين حديثاً ويتركون خلفهم زوجاتهم وهنّ في سنّ الشّباب يصعب عليهنّ قضاء حياتهنّ وهنّ أرامل، كما أنّ الرّجال أكثر عرضة للهلاك والوفاة ليس نتيجة للحروب فقط وإنّما للمشقّة الملقاة على عاتقهم حسبما تقتضيه وظيفتهم في الحياة (١١).

٢ ـ إنّ عدد الإناث الصّالحات للزّواج أكثر من عدد الذّكور الصّالحين للزّواج ؛ لأنّ الإناث يبلغن في سن أكبر من سنّ بلوغ الذّكور، ويستعدن للزواج بمجرد بلوغهنّ (١٢).

فقد تبيّن ممّا تقدّم أنّ الطّبقة الصّالحة للزّواج من الإناث أكثر من الذّكور. ويكون

الجيل المستعد للزّواج من الفتيات أكثر من الفتيان؛ لأنّه خلال فترة زمنيّة قصيرة تصلح طبقات من البنات في مستويات أعمار متقاربة للزّواج بمجرد البلوغ بينما تصل طبقة واحدة أو أكثر بقليل للزّواج من الذّكور، لأنّ صلاحيّة الذّكور للزواج غير صلاحية الإناث له، وهذه الزّيادة لابد من إيجاد حلّ لهنّ حتى لا يبقين فارغات عازبات، والحل هذه المشكلة ومعالجتها لا تكون إلّا بواحدة من هذه الثلاث:

أولاً: أن تترك النّساء الباقيات بدون أزواج يمضين حياة العزوبة والانفراد الى أجل الموت دون مأوى.

ثانياً: أو يسمح لهنّ بالاتصال غير الشّرعي مع الرّجال والمعاشرة غير الشّريفة.

ثالثاً: أو يرخّص للزّواج بأكثر من واحدة محدداً بأربع، زواجاً شرعياً لاستيعاب هذا العدد الزّائد، كي يوجد لكلّ منهنّ مكاناً ومأوى ينجين فيه من العزوبة الدّائمة والعذاب المرير، ويلقين ما يرجون من المعاش والملاذ، فأمّا ما يخص الحل الأوّل فإنّه مخالف للطبيعة البشرية؛ لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يكبت غرائزه التي أودعها الله – تعالى– به لإبقاء النّسل ومتعة الإنسان.

وأمّا الحل الثّاني فإنّه مخالف لجميع الشّرائع السّماويّة، وللذّوق الإنساني السليم، وهو هدر لكرامة الإنسان وعفّته، وهدم لبناء الأسرة والمجتمع برمته؛ لأنّه يتحوّل الى غابة، وهذا لا يرتضيه عاقل.

إذن لا يبقى إلا الحل الثّالث، وهو إباحة التّعدّد؛ لأنّ موجد هذا الحل هو (المحيط العليم الخبير، والرؤف الرحيم، الذي خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد).

قد تعجز الزوجة عن أداء بعض واجباتها لأي سبب كان، وحدوث نفور بين الزّوجين، ورغبتهما في نفس الوقت بالإبقاء على الرّابطة الزّوجية حرصاً على كيان الأسرة ورعاية أبنائهما.

٣- طلب محبة الرسول الأعظم محمد - صلى الله عليه وآله- في تكثير من به مباهاته حيث قال "تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" (١٣).

عن أبي جويد مولى الرضا عليه السلام عن الرضا -عليه السلام- قال: "نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه واله فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، ويقول: إن الابكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر، فإذا أينع الثمر فلا دواء له إلا اجتناؤه، وإلا أفسدته الشمس، وغيرته الريح، وإن الابكار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهن إلا البعول، وإلا لم يؤمن عليهن الفتنة، فصعد رسول الله صلى الله عليه واله المنبر فجمع الناس ثم أعلمهم ما امر الله عزوجل به، فقالوا: ممن يا رسول الله ؟ فقال: من الاكفاء، فقالوا: ومن الاكفاء ؟ فقال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، ثم لم ينزل حتى زوج ضباعة من المقداد بن الاسود، ثم قال: أيها الناس إني زوجت ابنة عمي المقداد ليتضع النكاح"(١٤).

وهناك فوائد أخرى صحّيّة ونفسيّة اقتصادية واجتماعية عديدة أخرى ...

إنّ الآثار التي مرّ ذكرها تعود للزّواج بشكل عام وللتّعدّد بشكل خاص الذي يعد ضرورة من ضرورات المجتمع في بعض الظروف، وإحدى المعالجات لمشاكله الحقيقيّة والواقعية. وأمّا ما يحصل من مشاكل ومتاعب جراء تعدد الزّوجات في بعض البيوت فإنّه لا يُنكر. ولكن السّبب في ذلك لا يعود للتشريع الإسلامي، وإنّما للأفراد أنفسهم؛ لأنّهم غير متخلّقين بخلق الإسلام، وغير متحصّنين بتعاليمه، كأن يكون الرجل مجحف تستأثر الزوجة الجديدة بمشاعره وعواطفه على حساب الزّوجة الأولى وأولادها، وهذا خلاف مبادئ الشّريعة، أو تكون إحدى الزوجات او بعضهنّ أنانية وتثير المشاكل لنفسها وزوجها وعائلتها، وهذا يأباه التّشريع الإسلامي، وما يشوه صورة التّعدّد اليوم والذي كان قائماً من قبل هو إساءة استخدامه، وعدم العمل بما يرضي الله -سبحانه وتعالى- فيه، وأنانيّة بعض الرّجال أو ضعف شخصيتهم مقابل مما يترتب عليه النّظرة

المجحفة في حقّه (التعدد) من قبل المجتمع . فالمجتمع عادة ينظر الى الزّوجة الأولى أنّها مسكينة أو مظلومة، وإلى الثّانية بأنّها ظالمة أو متعدّية كذلك ساهمت قطاعات الإعلام والثّقافة في الإساءة إليه وتشويهه ونبذه، فحتى القصص منذ القديم تصوّر امرأة الأب بصورة كريهة، وأنّ لديها الرّغبة في الانتقام حتى أصبح التّعدد اليوم وكأنّه جريمة لا تغفر في حق المرأة والرجل.

شخصية أم البنين -عليها السلام-.. أنموذج الزّوجة الصالحة

إنَّ الواقع المعاصر يفيض بالمشاكل الاجتماعية من نفسية وفكرية وعاطفية.. وغيرها.. وغيرها.. ومن المشاكل التي نعانيها اليوم هي مشكلة "الزوجة الثانية" التي تم تناولها من عدة جوانب.. واستفاض العقل البشري المحدود في ضخ الحلول، والتنظير لهذه الأزمة التي تصل لدرجة الاختناق في بعض الأحيان..! وفي بعض الأحيان تنتهي إشكالية "الزّوجة الثّانية "باستخدام حل أبغض الحلال.. ولكل مشكلة عوامل خاصة بها.. ونفسيات بشرية منوطة بها..

وهنا نتوقف أمام شخصية" أم البنين -عليها السلام-" هذه الشّخصيّة التي عندما تستمع للمنابر تجدهم يتكلمون عن إخلاصها وايمانها ويقينها بآل البيت واحترامها الخاص لسيدة نساء الأولين والآخرين السيدة الجليلة "فاطمة الزهراء -عليها السلام-".. في حين لا يتم التّطرق إلا فيما ندر للجانب الإنساني الذي تأنس النّفس عند استعراضه.. كونه يلخص مشاكلها من جهة ويُريها الحلول الشّمولية والكلّيّة في نماذج سلوكية بشرية على درجة خاصة من المكانة بحيث استطاعت معالجة النّفس البشرية.. وتقديم أنموذج يُحتذى به..

السيدة "أم البنين عليها السلام".. كانت الزوجة الثانية مع وجود زوجات أُخريات للإمام علي -عليه السلام-.. وتولّت شؤون أيتام السيدة الجليلة "فاطمة الزهراء

-عليها السلام-"..

في واقعنا المعاش.. أزمة الزوجة الثانية سواء أكانت الزوجة الأولى حية ترزق أو ميتة أو هنالك زوجات أخريات هي أزمة موجودة وتُثبتها الخلافات العائلية التي لا تهدأ زوابعها.. بل تتحوّل إلى إعصار يجتث جذور العائلة ويرمي بها إلى آفاق متعدّدة أو يُقطعها.. وهذه الأزمة يقف علم النفس عاجزاً عن إعطاء حل مثالي يناسب كل الحالات فيها.. بغض النّظر عن كون المشكلة في الزّوج أو الأبناء أو الزّوجة نفسها أو البيئة المحيطة أو الأهل أو غيرهم.. لا تزال هنالك صعوبة في إيجاد حل لهذه الأزمة..

شخصية "أم البنين -عليها السلام- قدّمت معلومات للمرأة التي تُفكّر في أن تُقدم على هكذا خطوة.. خاصة وأنّها أقدمت عليها وهي تعلم مكانة السّيّدة الجليلة "فاطمة الزّهراء -عليها السلام-.. وتعلم حقيقة العلم حجم الفراغ الذي عليها أن تملأه وهو فراغ أشبه بثقل وعبء على كاهلها في ظلّ وجود شخصيات من نسل نبي الرّحمة محمد -صلى الله عليه وآله-، ووجود الزّوج صاحب المكانة الرّفيعة الإمام علي -عليه السلام-.

أن تدخل المرأة عالم تعجز فيه عن ملء فراغ، كما حدث مع أم البنين -عليها السلام- يعتبر امتحان إما أن تفشل فيها الزّوجة فتلجأ إلى أسلوب سوء الخلق كما شهدنا في نماذج من حياة بعض زوجات النبي -صلى الله عليه وآله- اللاتي فشلن في سدّ فراغ السّيّد الجليلة "خديجة بنت خويلد" -عليها السلام-.. فلجأن إلى إثارة الأحقاد والضغائن وافتعال المشاكل ومحاولة اختلاق واصطناع نوع من الأفضلية لهنّ في قِبال شخصيات مكانتها يصعب ملؤها أو حتى يصعب إدراك ماهيتها وما هو كُنه سرّها..

وقد يبقى الرجل مُحتفظاً بذكرياته الخاصة مع زوجته التي أحبها ولها ما لها من مكانة عظيمة في قلبه.. وعلى المرأة فهم هذا الأمر والتّعامل معه بطريقة خاصة تحفظ فيها زوجها وتوجد مكانة لها مميزة وفق كيانها وشخصيتها.. لا بافتعال المشاكل واختلاق

الأزمات التي تحيل وجودها إلى أزمة..

آل البيت -عليهم السلام- مدرسة عظيمة.. وهذه السّيّدة الفاضلة "أم البنين -عليها السلام- ما أن دخلت هذا البيت حتى تغيّرت حياتها وأصبح لوجودها معنى خاص بها تفرّدت به بسبب تفرّدها في خلق صورة لها وفق معطياتها.

الهوامش:

١. سورة الأنبياء (١٦).

٢. سورة المؤمنون (١١٥).

٣. سورة الروم (٢١).

٤. تفصيل وسائل الشيعة، الحر العاملي، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار احياء التراث العربي بيروت، باب مقدمات النكاح، ج١٤، ص٢٣.

٥. الوضع القانوني لحقوق المرأة في التشريعات العراقية، الدكتورة فائزة جبار محمد، ط١، ٢٠٠٩م، ص٧١.

٦. سورة النساء (٣).

٧. سورة النساء (١٢٩).

٨. منهاج الصالحين / السيد الخوئي قدس سره / الطبعة العلمية/ قم/ (١٤٠٧ هـ)/ ص١١.

٩ ـ الوضع القانوني لحقوق المرأة في التشريعات العراقية دراسة مقارنة / الدكتورة فائزة جبار محمد / / ط ١/ ٢٠٠٩م/ ص ٧١.

١٠ ـ حقوق الانسان دراسة النص وتحدياة الواقع/ مجموعة من المؤلفين/ مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي / ط١/ بيروت/، ص ٣٣٠.

١١. نظرة الى المرأة والرجل في الاسلام/ ص ٢٤.

١٢. بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ / ج ٤٤ / ص ١٧٠.
١٣. المصدر نفسه/ ج ١٦ / ص ٢٢٣ .

أم البنين

٦٩
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

٧٠
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

تأملات في حياة أم البنين عليها السلام

الشيخ أحمد كاظم/ خطيب حسيني

٧١
البنين أصدق
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

الشيء القليل الذي نعرفه عن أمّ البنين -عليها السلام- مرتبط ببعض المادّيّات وما أشبه، كنسبها وزواجها بعلي أمير المؤمنين -عليه السلام- وأولادها الأربع وشيء عن أدبها الجم وبعض قضاياها بعد قصّة كربلاء...

أمّا مقدار معنوياتها العالية، ومدى معرفتها وعلومها.. فلم نعلم منه شيئاً يُذكر.

نعم يمكننا المعرفة الإجمالية عبر رؤية بعض الآثار..

فمثلاً ورد في أحوال السّيّدة المعصومة -عليها السلام- **"أنّ من زارها عارفاً بحقها وجبت له الجنة"(١)**.

وهذا شيء لا تصل إلى معرفة كنهه عقولنا، فما كان لهذه السّيّدة العظيمة من الواقعية والمعنوية والقرب من الله -عز وجل- حتى أنّه سبحانه قرر الجنة لمن زارها؟!

نعم هذه الرّواية وأمثالها تدلّنا على مدى عظمتها ولو إجمالاً..

وهكذا بالنّسبة إلى ما للسيّدة الجليلة أمّ البنين -عليها السلام- من المعنوية العالية والمقام العظيم.. حيث يمكننا أن نحسّ بشيء من ذلك عبر ما نراه من الآثار المترتّبة على التّوسّل بها وجعلها شفيعة عند الله -عزّ وجل- في قضاء الحوائج..

فإنّ النّذر لها يحلّ المشاكل الكبيرة التي هي بحاجة إلى الإمداد الغيبي من الله -سبحانه-، كشفاء المرضى الذين لا شفاء لهم حسب الظّاهر، وإعطاء الأولاد لمن لم يرزق ولداً، ودفع البلايا وغير ذلك..

وهذا مما عليه ألوف القصص من المشاهدات والمنقولات، والسّبب لا يكون إلّا معنوية رفيعة لهذه السّيّدة الجليلة يقصر ذهننا عن دركها.

ثم إنّا لا نستوعب كثيراً من المادّيّات، ونحن منها ...

فما هي الجاذبية؟.

وما هو الكهرباء؟

وما هو تأثير الإرادة القلبية في الأشياء؟

وألف شيء.. وشيء..

فكيف لنا بالمعنويات التي نحن بمعزل عنها، وحتى عن أوّليّاتها؟

إنّ ذهاب الفلاسفة إلى العقول العشر، والمادية الديالكتيكية(٢)، وما أشبه.. من الأمور الواضحة البطلان، دليل بيِّن على أنّ الإنسان لا يمكنه أن يستوعب الماديّات الواضحة، فكيف بالمعنويات التي هي فوق طاقة الإنسان وقدرته؟.

ولعل في زمان ظهور الإمام المهدي -عجّل الله تعالى فرجه الشّريف- ـ حيث يضاف (٢٥) حرفاً على ما بيد الإنسان اليوم من العلوم، فإنّها لا تتجاوز الحرفين فقط ـ يظهر بعض الأمور المعنوية بإذنه سبحانه(٣).

أم البنين -عليها السلام- ومنزلة العباس -عليه السلام- عندها

إنّ الأم وإن عرف أنه يشدّها الى ابنها محبة الأمومة وعلاقة الحمل والرّضاع والتّربية والحضانة إلّا أنّ أم البنين -عليها السلام- قد فاقت في محبّتها لولدها العباس -عليه السلام- على محبة الأمومة وسمت في علاقتها به علاقة القرابة القريبة وذلك لمعرفتها بما يحمله أبو الفضل العباس -عليه السلام- بين جوانبه من إيمان راسخ وولاء كبير لأخيه وإمامه الإمام الحسين -عليه السلام-.

وما يضمّه بين أضلاعه من إخلاص لله -تعالى- ولرسوله-صلى الله عليه وآله- ولدينه وإمامه-عليه السلام-، وما ينطوي عليه من صفات خيّرة وخلق كريم حيث اجتماع كل ذلك في أبي الفضل العباس -عليه السلام- والذي بشّر به إرهاصات ولادته -عليه السلام- بل وقبل ولادته وحمله جعلت له مكانة عظيمة لدى أمّه أم البنين -عليها السلام- وأحرزت له منزلة رفيعة لديها ولذلك نراها -عليها السلام- تعوذه من صغره بقولها :

اعـــيـذه بـــالـواحـد مـن عـين كـل حاسـد
قـــائـمـهـم والـــقـاعـد مـــسـلـمـهـم والجـاحـد
صـــادرهـــم والـــوارد مـــولـودهـم والـوالـد

وترثيه بعد شهادته بقولها :

يا من رأى العباس كر ... على جماهير النقد
ووراه من أبناء حيدر ... كل ليث ذي لبد
انبئت أن ابني اصيب ... برأسه مقطوع يد
ويل على شبلى أما ... ل برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يد ... يك لما دنا منه أحد

وقولها الآخر :

لا تدعوني ويك ام البنين ... تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعى بهم ... واليوم اصبحت ولا من بنين
اربعة مثل نسور الربى ... قد وصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان اشلائهم ... فكلهم امسى صريعاً طعين
ياليت شعري أكما أخبروا ... بأنَّ عباساً قطيع اليمين

نعم إنّ أم البنين -عليها السلام- كانت هي أوّل من رثى العبّاس -عليه السلام- على ما في مقاتل الطّالبيين - فإنّها كانت تخرج الى البقيع تندب أولادها الأربعة العباس -عليه السلام-وإخوته عبد الله وجعفر وعثمان أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع النّاس لسماع ندبتها والبكاء معها مساعدة لها حتى أنّ مروان هذا العدو اللدود لبني هاشم كان إذا مرّ بالبقيع وسمع ندبة أم البنين أقبل وجلس يبكي مع الناس لبكائها .

طريق الآخرة

مما يلزم على الإنسان أن يتطلب الآخرة دائماً وذلك بابتغاء الوسيلة التي عيَّنها الله -تعالى- كما قال:(**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**)(٤). فالدار الآخرة هي كلُّ شيء، أما الدنيا فللإنسان فيها نصيب قليل قليل (**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)(٥).

ومن الواضح أنّ تسميته قليلاً إنّما هو بمنطقنا، وإلّا فالدّنيا بالنّسبة إلى الآخرة لا شيء، كيف والدّنيا خمسون سنة مثلاً، والقبر إلى القيامة ربما يكون أكثر من مليارات السنين ـ كما ذكروا مثل ذلك في قدر عمر الشّمس ـ، والحشر فقط خمسون ألف سنة مما تعدّون، قال -تعالى-: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)(٦)، وقال -عزّوجل-: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)(٧).

وقال -سبحانه-: (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)(٨).

فاللازم على الإنسان أن يغتنم الحياة بكل جد لتحصيل الآخرة الفضلى بسببها، وإلّا كان خاسراً أعظم خسارة بما لا تقدّر: (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٩).

وفي الحديث: إنّه لو أمكن للإنسان أن يموت في الآخرة لمات المذنب من الحسرة.

إنّ ما يمكننا مما يرتبط بالسّيّدة أم البنين -عليها السلام- كعمارة قبرها، ونشر فضائلها، والنّذر من أجلها، وزيارتها، وإهداء قراءة القرآن والصّلاة وسائر المقرّبات لها، والتّأسّي بها، والإهتمام بشؤونها في كل الأبعاد، كلها مما يوجب الحصول على ثواب الآخرة الذي لا زوال له ولا اضمحلال، إذا عمل بها الإنسان خالصاً لله وللدّار الآخرة، بالإضافة إلى الحصول على ما يترتّب عليها من الآثار الوضعية كاستجابة الدّعاء وما أشبه.

وهذا صادق بالنسبة إلى سائر أولياء الله من الأنبياء والأوصياء وذويهم والعلماء والصّالحين.

فعلى الإنسان أن يتّخذ من الدّنيا الطّريق إلى الآخرة وثوابها ويجعل ذلك ملكة لنفسه في كل أخذ وعطاء.. وقبول وردّ.. وتحرّك وسكون.. حتى لا يقول في الآخرة (يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)(١٠).

فإنّ كل شيء لا يحصل الإنسان على الأفضل منه بسبب أعماله ونواياه يكون حسرة

عليه.

وقبل ذلك قال -سبحانه-:(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)(١١).

وقال تعالى:(سابقوا)(١٢).

وقال سبحانه:(سارعوا)(١٣).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات.

الهوامش:

١ - بحار الأنوار/ الشّيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطّبعة الثّانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٤٨ / ص٣١٧.

٢ - المادية الجدلية (أو الديالكتيكية): هو منهج في التّحليل التّأريخي، استخدمه ماركس وانجلس، وهو من أسس طريقة التفكير عند الإشتراكيين والشّيوعيين. وللتفصيل الأكثر ومعرفة ما فيها من الاشكالات راجع كتاب (نقد المادية الديالكتيكية).

٣ - الخرائج والجرائح للراوندي: تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي -عليه السلام- قم المقدّسة، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية- قم، ذو الحجة سنة ١٤٠٩، ج٢/ ص٨٤١/ ح٥٩. عن الإمام الصادق-عليه السلام- أنّه قال: (العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضمّ إليها الحرفين حتى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً). وفي نسخة أخرى بدل (الحرف): (الجزء) في الجميع.

٤ - سورة القصص الآية: ٧٧.

٥ - سورة التّوبة/ الآية: ٣٨.

٦ - سورة المعارج/ الآية: ٤.

٧ - سورة الحج/ الآية: ٤٧.

٨ - سورة السجدة/ الآية: ٥.

٩ - سورة الزمر/ الآية: ١٥.

١٠ - سورة الزمر/ الآية: ٥٦.

١١ - سورة المطفّفين/ الآية: ٢٦.

١٢ - سورة الحديد/ الآية :٢١.

١٣ - سورة آل عمران/ الآية: ١٣٣.

لا تدعوني ويك ام البنين
تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم
واليوم أصبحت ولا من بنين

يا أم البنين عليها السلام

شعر / السيد بهاء آل طعمه

يـــا أُمَّ البـــَـنين

أمّ البنين ملاذنا والمضجعُ ... هي للحوائج بابها والمنبعُ
قد قدّمت ما لا يطاق لحمله ... ثُكلتْ بأبناءٍ لها هم أربعُ
راحوا فداءً للحسينِ ولمْ يكنْ ... بين الجنانِ وبينهم أن يصرعوا
جادوا بأنفسهم لأجل إمامهم ... ذاك الذي يوم القيامة يشفعُ
أوّلهم عبّاسُ آل محمدٍ ... قد كان في يوم الطّفوف صميدعُ
وثلاثة كانوا غيارى ... كالجبال الشمّ فيما أبدعوا
أربعة من ولد أمّ أقسمت ... دون الحسين يقاتلوا لا يهجعوا
أكرم بهم ما قدّموه لدينهم ... ذكراهم في كلّ يوم ترفعُ
أُمٌّ ونعمَ الأمّ ما قد أنجبت ... أفذاذ في سوح الوغى يتطوعُوا
في نصرة الإسلام والقرآنِ لا ... للظالمين المارقين تخضّعوا
بل واجهوا الموت المرير بقوّةٍ ... في جنّة الفردوس راحوا يطمعوا
يا زوجة الكرار قومي وانظري ... من سوء حال مرّ فينا مفجعُ

أصبحتِ يـا أمّ البنين غياثنا عند الشّدائد لا سـواك المفزعُ
يا ما رجـاك السّائلونَ لهمّهم لم يسمعوا غير جوابك مسرعُ
يا بـابَ ربّ للحوائج مفتحاً واليوم جئنا عند بابكِ نطمع
تُعطين ما نبغي قضاء حوائجٍ ثَقُلت علينا حيثُ أنت المضجعُ
فعليك أقسـمُ بالحسينَ وأمّـه تقضينَ مـا نصبوا إليه ونتبعُ
هي ذمّـة هذي الحوائجُ عندك حـاشـا لأمّ الـطّهـر عنها تمنعُ

لبنة لبنة

أم البنين عليها السلام

زيارة السيدة أم البنين عليها السلام

٨٣
البنين أم الأسرى
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أَشهَدُ أَن لا إلهَ إلا الله وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ الله، السَّلامُ عَلَيكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنين، السَّلامُ عَلَيكِ يَا فَاطِمَةَ الزَّهرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِين، السَّلامُ عَلَى الحَسَنِ وَالحُسَينِ سَيِّدي شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة، السَّلامُ عَلَيكِ يَا زَوجَةَ وَصيِّ رَسَولِ الله، السَّلامُ عَلَيكِ يَا عَزِيزَةَ الزَّهرَاءِ عَلَيهَا السَّلام، السَّلامُ عَلَيكِ يَا أُمَّ البُدُورِ السَّوَاطِع فَاطِمَةَ بِنت حزَام الكلابيّة، المُلَقَّبَةُ بِأُمِّ البَنِين وَبَاب الحَوَائِج، أُشهِدُ اللهَ وَرَسُولَهُ أَنَّكِ جَاهَدتِ في سَبِيلِ الله، إذ ضَحّيتِ بِأَولَادَكِ دُونَ الحُسَين بنَ بِنتِ رَسُولِ الله، وَعَبَدتِ اللهَ مُخلِصَةً لَهُ الدِّين بِولائِكِ لِلأَئِمَّةِ المَعصُومِين عَلَيهِمُ السَّلام، وَصَبَرتِ عَلَى تِلكَ الرَزِيَّةِ العَظِيمَة، وَاحتَسَبتِ ذَلِكَ عِندَ الله رَبِّ العَالَمِين، وَآزَرتِ الإِمَامَ عَلِيَّاً في المِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالمَصَائِب، وَكُنتِ في قِمَّةِ الطَّاعَةِ وَالوَفَاء، وَأَنَّكِ أَحسَنتِ الكَفَالَةَ وَأَدَّيتِ الأَمَانَةَ الكُبرى في حِفظِ وَدِيعَتَي الزَّهرَاء البَتُول الحَسَنِ وَالحُسَينِ وَبَالَغتِ وَآثَرتِ

وَرَعَيتِ حُجَجَ اللهِ المَيَامِين، وَرَغبتِ في صِلَةِ أَبنَاء رَسُولِ رَبِّ العَالَمِين، عَارِفَةً بِحَقِّهِم، مُؤمِنَةً بِصِدقِهِم، مُشفِقَةً عَلَيهِم، مُؤثِرَةً هَوَاهُم وَحُبَّهُم عَلَى أَولَادِكِ السُّعَدَاء، فَسَلامُ اللهِ عَلَيكِ يَا سَيِّدَتي يَا أُمَّ البَنِين مَا دَجَى اللَّيلُ وَغَسَق، وَأَضَاءَ النَّهَارُ وَأَشرَق، وَسَقَاكِ اللهُ مِن رَحِيقٍ مَختُوم، يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلابَنُون، فَصرتِ قدوَةً لِلمُؤمِنَاتِ الصَّالِحَاتِ، لأَنَّكِ كَرِيمَةُ الخَلائِق، عَالِمَةً مُعَلَّمَةً، نَقِيَّةً زَكِيَّةً، فَرَضِيَ اللهُ عَنكِ وَأَرضَاكِ، وَلَقَد أَعطَاكِ اللهُ مِن الكَرَامَاتِ البَاهِرَات، حَتَّى أَصبَحتِ بِطَاعَتِكِ لله وَلِوَصِيِّ الأَوصِيَاء وَحُبِّكِ لِسَيِّدَةِ النِّسَاء الزَّهرَاءِ، وَفِدَائِكِ أَولادِكِ الأَربَعَة لِسَيِّدِ الشُّهَدَاء بَابَاً لِلحَوَائِج، فاشفَعِي لِي عِندَ اللهِ بِغُفرَانِ ذُنُوبِي وَكَشفِ ضُرِّي وَقَضَاءِ حَوَائِجِي، فَإِنَّ لَكِ عِندَ اللهِ شَأنَاً وَجَاهَاً مَحمُودَاً، وَالسَّلامُ عَلَى أَولَادِكِ الشُّهَدَاء، العَبَّاس قَمَرُ بَنِي هَاشِم وبَاب الحَوَائِج، وَعَبد اللهِ وَعُثمَان وَجَعفَر، الَّذِينَ استُشهِدُوا في نُصرَةِ الحُسَينِ بِكَربَلاء، وَالسَّلامُ عَلَى ابنَتِكِ الدُّرَّة الزَّاهِرَة الطَّاهِرَة الرَّضِيَّة خَدِيجَة، فَجَزَاكِ اللهُ وَجزَاهُم اللهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ .